

جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

# الحجاج اللغويّ في آيات الرّحمة والعذاب

إعداد  
داليا أمل فالح دغلس

إشراف  
أ. د. محمد الرباع  
د. مأمون مباركة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2021م

# الحجاج اللغويّ في آيات الرّحمة والعذاب

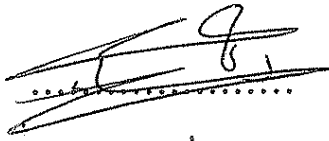
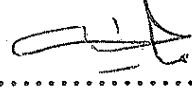
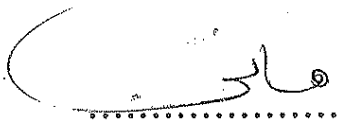

إعداد

داليا أمل فالح دغلس

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2021/11/14م، وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

  
.....  
  
.....  
  
.....  
  
.....

1. أ. د. محمد الرباع / مشرفاً ورئيساً

2. د. مأمون مباركة / مشرفاً ثانياً

3. د. هاني البطاط / متحنناً خارجياً

4. أ. د. يحيى جبر / متحنناً داخلياً

## الإهداء

إلى أمّك الدنيا ونورها: والدتي العزيزة

إلى توأم الروح وأنيس الدرب: زوجي الحبيب

إلى سند الحياة وشقاوتها: أختي وأختي

إلى رفيقات الروح وضحكة القلب: صديقتي القريبات (إخلاص، سلسبيل، منار)

## الشكر والتقدير

الحمد والشكر الأبديان لله جلَّ وعزَّ على ما وفقني إليه في دربي وحياتي، وفي كتابة رسالتي،  
فلولا كرمه وفضله ما كانت هذه الدراسة...

ثمَّ الشكر لأساتذتي في قسم اللغة العربية عامَّة، على ما قدّموه من علمٍ ومعرفةٍ خلال  
مسيرتي التعليميّة، ولأستاذي الكريمين \_خاصّة\_ (أ.د. محمد رباح، ود. مأمون مبارك)  
على ما قدّماه في الإشراف على رسالتي في مرحلة الماجستير.

## الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

# الحجاج اللغويّ في آيات الرّحمة والعذاب

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية، أو لقب علمي، أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

## Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة: داليا اهل فالح دغاب

Signature:

التوقيع: داليا

Date:

التاريخ: ١٤ / ١١ / ٢٠٢١ م

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	فهرس الأشكال
ل	الملخص
1	مقدمة
6	<b>الفصل الأول: مقدمات مؤسّسة</b>
7	في مفهوم الحجاج
9	في مفهوم التّداوليّة
10	من التّداوليّات الكلاسيكيّة إلى التّداوليّة المدمجة
12	التّداولية المدمجة عند (ديكرو) (وأنسكومبر)
13	النظريّة ذات الشّكل y
16	مراجعة بعض المفاهيم وتدقيقها
17	فرضيّات التّداوليّة المدمجة
18	الحجاج اللّغويّ/ اللّسانيّ
22	مواطن الحجاجيّة في اللّغة
25	المبادئ الحجاجيّة/ المواضيع
27	الأصواتيّة (التّعدّد الصوتي)
29	حجاجيّة القرآن الكريم عامّة، وحجاجيّة الرّحمة والعذاب خاصّة
31	الرّحمة والعذاب في القرآن الكريم
33	<b>الفصل الثّاني: الرّوابط والعوامل الحجاجيّة في آيات الرّحمة والعذاب</b>
34	أولاً: الرّوابط الحجاجيّة
35	الرّوابط الحجاجيّة في آيات الرّحمة
48	الرّوابط الحجاجيّة في آيات العذاب
62	ثانياً: العوامل الحجاجيّة

الصفحة	الموضوع
64	العوامل الحجاجية في آيات الرّحمة
71	العوامل الحجاجية في آيات العذاب
<b>78</b>	<b>الفصل الثالث: السّلام الحجاجية في آيات الرّحمة والعذاب</b>
79	السّلام الحجاجية
83	السّلام الحجاجية في آيات العذاب
94	السّلام الحجاجية في آيات الرّحمة
<b>104</b>	<b>الفصل الرابع: الاستعارة الحجاجية في آيات الرّحمة والعذاب</b>
105	الاستعارة الحجاجية
108	الاستعارة الحجاجية في آيات الرّحمة
115	الاستعارة الحجاجية في آيات العذاب
125	بعض الأمثلة التحليلية الشاملة
<b>132</b>	<b>الخاتمة</b>
<b>134</b>	<b>قائمة المصادر والمراجع</b>
<b>b</b>	<b>Abstract</b>

## فهرس الأشكال

الصفحة	الشكل	الرقم
14	مخطط توضيحي للنظرية ذات الشكل Y	شكل (1)
25	سلم حجاجي يحاجج في كفاءة زيد العلمية	شكل (2)
42	مخطط يظهر دور الفاء في البنية الحجاجية للآية (107) من آل عمران.	شكل (3)
43	مخطط يظهر دور الفاء في البنية الحجاجية للآية (175) من سورة النساء	شكل (4)
44	مخطط يظهر دور الفاء في البنية الحجاجية للآية (2) من سورة فاطر	شكل (5)
46	مخطط يظهر دور الرابط (إن) في البنية الحجاجية للآية (143) من سورة البقرة	شكل (6)
47	مخطط يظهر دور (إن) في البنية الحجاجية للآية (53) من سورة الزمر	شكل (7)
47	مخطط يبين النتيجة التي تؤديها حجة (لا تقنط من رحمة الله)	شكل (8)
48	مخطط يظهر دور (إن) في التوجيه الحجاجي للآية (56) من سورة الأعراف	شكل (9)
54	مخطط يظهر دور (لكن) في التوجيه الحجاجي للآيتين (13 و 14) من سورة الحديد	شكل (10)
56	مخطط يظهر دور (لكن) في التوجيه الحجاجي للآية (38) من سورة مريم	شكل (11)
57	مخطط يظهر دور (لكن) في التوجيه الحجاجي للآية (47) من سورة الطور	شكل (12)
59	مخطط يظهر دور (بل) في التوجيه الحجاجي للآية (11) من سورة لقمان	شكل (13)
61	مخطط يظهر دور (بل) في التوجيه الحجاجي للآية (33) من سورة الرعد	شكل (14)
62	مخطط يظهر دور (بل) في التوجيه الحجاجي للآية (88) من سورة البقرة	شكل (15)



الصفحة	الشكل	الرقم
65	المخطط العام الذي يظهر دور (إلا) في التوجيه الحجاجي	شكل (16)
66	مخطط يظهر دور (ما-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (107) من سورة الأنبياء	شكل (17)
67	مخطط يظهر دور (لا-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (56) من سورة الحجر	شكل (18)
68	مخطط يظهر دور (لا-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (286) من سورة البقرة	شكل (19)
72	مخطط يظهر دور (إن-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (71) من سورة مريم	شكل (20)
81	مخطط يظهر الرمز العام للسلم الحجاجي	شكل (21)
82	مخطط رمز سلم الأقوال المثبتة	شكل (22)
82	مخطط رمز سلم الأقوال المنفية	شكل (23)
84	مخطط السلم الحجاجي في سورة النبا 21-30	شكل (24)
87	مخطط السلم الحجاجي في سورة الغاشية 2-7	شكل (25)
89	مخطط السلم الحجاجي في سورة فاطر 36-37	شكل (26)
93	مخطط السلم الحجاجي في سورة ق 19-30	شكل (27)
96	مخطط السلم الحجاجي في سورة الغاشية 8-16	شكل (28)
99	مخطط السلم الحجاجي في سورة النبا 31-36	شكل (29)
101	مخطط السلم الحجاجي في سورة ق 31-35	شكل (30)
102	مخطط السلم الحجاجي في سورة فاطر 33-35	شكل (31)
108	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي	شكل (32)
110	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (46) من سورة الروم	شكل (33)
111	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (46) من سورة الروم	شكل (34)
112	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (20) من سورة لقمان	شكل (35)

الصفحة	الشكل	الرقم
112	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (3) من سورة فاطر	شكل (36)
113	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (111) من سورة التوبة	شكل (37)
114	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (23) من سورة الطور	شكل (38)
115	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (14) من سورة الإنسان	شكل (39)
116	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (10) من سورة النساء	شكل (40)
118	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (13) من سورة الفجر	شكل (41)
119	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (40) من سورة الذاريات	شكل (42)
120	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (25-26) من سورة الزمر	شكل (43)
121	مخطط يظهر السلم الحجاجي للآية (7) من سورة البقرة	شكل (44)
121	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في قوله (ختم) من الآية (7) من سورة البقرة	شكل (45)
121	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في قوله (غشاوة) من الآية (7) من سورة البقرة	شكل (46)
122	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (40) من سورة الطور	شكل (47)
123	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (7) من سورة الملك	شكل (48)
123	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (8) من سورة الملك	شكل (49)

الصفحة	الشكل	الرقم
124	مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (19) من سورة الحج	شكل (50)
126	مخطط يظهر السلم الحجاجي للآية (60) من سورة مريم	شكل (51)
126	مخطط يظهر السلم الحجاجي للآية (82) من سورة طه	شكل (52)
127	مخطط يظهر دور (إن) في البنية الحجاجية في سورة الأنبياء (103-101)	شكل (53)
128	مخطط يظهر السلم الحجاجي في سورة الآيات (103-101) من سورة الأنبياء	شكل (54)
129	مخطط يظهر السلم الحجاجي في الآية (52) من سورة غافر	شكل (55)
130	مخطط يظهر السلم الحجاجي في الآيتين (41-40) من سورة الأعراف	شكل (56)
130	مخطط يظهر سلمًا حجاجيًا آخر في الآيتين (41-40) من سورة الأعراف	شكل (57)

## الحجاج اللغوي في آيات الرّحمة والعذاب

إعداد

داليا أمل فالح دغلس

إشراف

أ. د. محمد الرباع

د. مأمون مباركة

### الملخص

تناولت هذه الدراسة آيات الرّحمة والعذاب، وقامت بتحليلها وفق مقوّمات الحجاج اللغويّ؛ وبناء على ذلك، تكوّنت الدراسة من مقدّمة، وأربعة فصول، ودُيِّلت بخاتمة.

تناولت المقدّمة حديثاً بسيطاً عن تطوّر الدّراسات اللّسانيّة، والسّبب وراء اختيار هذه الدّراسة موضحةً الأسئلة التي تجيب عنها، ثمّ وقفت على الدّراسات السّابقة في الحجاج، مبيّنةً موقع هذه الدّراسة منها، ثمّ كان الفصل الأوّل مقدّمات مؤسّسة تناولت مهمّة الإفصاح عن مفهوم التّدالويّة المدمجة ليبيّن موقع الحجاج اللغويّ منها وبداياته ومفهومه ومباحثه، كما أتى على الحديث عن حجاجيّة الخطاب القرآنيّ عامّةً وحجاجيّة خطاب الرّحمة والعذاب خاصّةً.

أمّا الفصل الثّاني فقد كان في أوّل مقوّمات الحجاج اللّغويّ، وهي الرّوابط والعوامل الحجاجيّة؛ حيث جاء بنماذج من آيات الرّحمة والعذاب محلّلاً بعض الرّوابط والعوامل المختارة فيها، وبيّنت كيف تقوم الرّوابط والعوامل بدور هامّ في العمليّة الحجاجيّة.

وجاء الفصل الثّالث ليحلّل أمثلة على مقوّم آخر من مقوّمات الحجاج اللغويّ، وهو السّلام الحجاجيّة، فاخترت مشاهد من الرّحمة والعذاب في القرآن، وحلّل بناءها وفق ما تتطلبه السّلام الحجاجيّة.

وتحدّث الفصل الرّابع عن الاستعارة الحجاجيّة في آيات الرّحمة والعذاب، مشيراً إلى قوتها في التّوجيه الحجاجيّ للآيات، وحيث جاء بعد الفصل الرّابع بأمثلة تحليليّة شاملة، تحلّل كلّ ما جاء فيها من مقوّمات الحجاج اللغويّ.

وأخيراً، جاءت الخاتمة بأهمّ النتائج التي خلصت إليها الدّراسة.

## مقدّمة

تقدّمت الدّراسات اللّغويّة وتطوّرت، ولم تعد تقف عند حدود الخطيّة في معالجتها النّصوص اللّغوية، بل أخذت تُدخل المقامات، والسيّاقات الخارجيّة، وغيرها من مظاهر التّداوليّة، في عمليّة تأويل الملفوظات، وتُدمجها مع الدّلالات. وقد تعدّدت طرائق التّحليل اللّغوي في إطار نظريّات التّحليل الجديدة؛ لعلّ أهمّها الحجاج، الذي انقسم بدوره إلى صنفين، اعتمد أحدهما المكوّن البلاغيّ في تأويله، فعُرف بالحجاج البلاغيّ، وقصر الآخر مجال تحليله على اللّغة نفسها، وسُمّي الحجاج اللّغوي، مدّعياً أنّ مظاهر التّداوليّة تنكشف من المستوى اللّغويّ الأوّل؛ مستوى البنية والتركيب.

وعليه، فقد اختارت هذه الدّراسة أن تحلّل نماذج من آيات الرّحمة والعذاب في القرآن الكريم، معتمدةً الحجاج اللّغويّ.

وكان الدّافع وراء اختيار هذا الموضوع، هو الوقوف على بعض آليات القرآن في إيصال رسالته، أمّا اختيار الحجاج اللّغويّ، خاصّةً، سبباً للتّحليل القرآنيّ فكان رغبةً منّي في طرق باب الجدّة في الدّرس.

وتحاول هذه الدّراسة الإجابة عن السؤال المركزيّ التّالي: ما مدى كفاية نظريّة الحجاج اللّغويّ في تحليل القول الحجاجيّ في خطّابيّ الرّحمة والعذاب القرآنيّين؟، وللإجابة عن ذلكم السؤال، لا بدّ أن نجيب قبلاً عن الأسئلة الآتية:

• ما مفهوم الرّوابط والعوامل الحجاجيّة، وكيف تسهم في توجيه الحجاج في خطّابيّ الرّحمة والعذاب؟

• ماذا يعني مفهوم السّلم الحجاجيّ، وما قوانينه، وكيف يشتغل في عمليّة التّحليل للخطاب الحجاجيّ لآيات الرّحمة والعذاب؟

• ما المقصود بالاستعارة الحجاجية، وما المواطن التي ستظهر فيها في خطابي الرحمة والعذاب الحجاجيين، وكيف ستؤثر في الغاية الإقناعية لهما؟

وحتى تتحقق للدراسة غايتها، لا بد أن تتكى على خطة تحدّد معالمها؛ ولأنّ الدراسة تتبّع نهج الحجاج اللغوي في التحليل، فإنّ خطتها ستكون حسب ما تقترحه مباحث الحجاج اللغوي، وعليه، ستتكوّن الدراسة من أربعة فصولٍ على النحو الآتي:

**الفصل الأوّل:** سيتولّى مهمّة الإفصاح عن مفهوم التداوليّة المدمجة لبيّن موقع الحجاج اللغوي منها وبداياته ومفهومه ومباحثه، ثمّ سيأتي على الحديث عن حجاجيّة الخطاب القرآنيّ عامّةً وحجاجيّة خطاب الرحمة والعذاب خاصّة.

**الفصل الثّاني:** سيتضمّن مفهوم العوامل والروابط الحجاجيّة، ليأتي بعد ذلكم على العوامل والروابط الأبرز في الآيات القرآنية المدروسة، وكيفية توجيهها للحجاج فيها.

**الفصل الثّالث:** سيتناول بالدرس مفهوم السّلم الحجاجيّ وقوانينه، ثمّ سيقوم بتحليلها في نماذج من الآيات محلّ الدراسة.

**الفصل الرّابع:** سيكشف عن مفهوم الاستعارة الحجاجيّة، ثمّ سيكشف عنها في آيات الرحمة والعذاب مبيناً كيف أسهمت في التوجيه الحجاجي لها.

ثمّ أنهيّ البحثُ بخاتمة تلخص أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة في كلّ فصلٍ من فصولها.

وأخيراً، ورد ذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الدراسة، تمثّل أهمّها بكتاب (اللغة والحجاج) لأبي بكر العزاوي، وكتاب (المظاهر اللغوية للحجاج) لرشيد الرّاضي، هذا فيما يخصّ النّظريّة، أمّا كتبُ التفسير فكان الاعتماد الأكبر على تفسير ابن عاشور؛ لأنّه يتوسّع في تفسيره ويفصل أكثر من غيره، ولأنّه يأتي على قضايا لغويّة وبلاغيّة، فرأيت فيه التفسير الأنسب، إلى جانب اعتمادي على غيره.



• أبو غليون، هاني يوسف، الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2018.

• لكحل، سعدية، الحجاج في خطابات إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير، جامعة تيزي وزو، الجزائر.

تركز الدراسة الأولى (حجاجية التراكيب والأساليب في قصار السور) في تحليلها الحجاجي على ظاهرتين بلاغيتين هما: الحذف والتوكيد موضحةً دورهما في الحجاج، وتقتصر حجاجها على السور القصيرة من القرآن كما يتضح من عنوانها.

وتجمع الدراسة الثانية في تحليلها لسورة يوسف بين مباحث من صنف الحجاج البلاغي واللغوي، ليكون النصيب الأكبر من دراستها متخصصاً في أنماط الحجاج البلاغي، ويكون نصيب مبحث الحجاج اللغوي المقتصر على بعض العوامل والروابط الحجاجية منها يسيراً، وكذا كانت دراسة (الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجاً)، لكنها ركزت أكثر من سابقتها على المباحث التداولية كأفعال الكلام والاقتضاء، واختلفت معها في مجال الدراسة.

وتأتي بوساطة في دراستها على دراسة السلال الحجاجية في القرآن، فتجمع فيها بين السلال اللغوية وغير اللغوية مغرقة كسابقتها في النواحي البلاغية، وتخصص درسها في القصص القرآني دون غيره من أنواع الآيات.

أما (العوامل الحجاجية في آيات الأحكام) فهي دراسة قصيرة أرادت تبيان الفاعلية الحجاجية للعوامل اللغوية الحجاجية؛ وفي سبيل ذلكم؛ اختارت عامل القصر بنوعيه (القصر بإثما، والقصر بالنفي والاستثناء) مثالاً على تلكم العوامل، وبيّنت أثره الحجاجي في بعض آيات الأحكام في القرآن الكريم، وإن كانت هذه الدراسة قد اختارت القصر مثالاً على العوامل الحجاجية في الحجاج اللغوي، فإن الدراسة التي تليها تختار الاستفهام لتمثل به على الحجاجية القرآنية، غير أن الحجاجية هنا حجاجية بلاغية.



وحاولت دراسة سعدة لكل الوقوف على الاستراتيجيات الحجاجية في خطابات إبراهيم (عليه السلام)، وقد كانت في معظمها استراتيجيات بلاغية، حجاج بالمعارضة والاستدراج والمناظرة والتّمثيل.

وكانت دراسة عبد الجليل العشاوي كسابقاتها في جانب اختصاصها في الحجاج، وتركيزها على الحجاج البلاغيّ دون اللغويّ، ولم يكن حظّ الحجاج اللغويّ في دراسته إلا قليلاً لم يتجاوز صفحات معدودة.

أمّا الدّراسة الحجاجية التي بين أيدينا فوقفت في تحليلها على مجموعة من مقومات الحجاج اللّغويّ، دون أن تتطرّق لشيء من الحجاج البلاغيّ.

# الفصل الأوّل

## مقدّمات مؤسّسة

## الفصل الأوّل

### مقدّمات مؤسّسة

#### في مفهوم الحجاج

#### أولاً: الحجاج لغةً

تشير المعاجم العربيّة إلى أنّ الحجاج يعني: الجدل، والخصومة، والقصد؛ إذ أورد ابن فارس في المقاييس أنّ ل(حجج) أربعة أصول منها: "القصد"<sup>1</sup>، وجاء في لسان العرب في مادة (ح ج ج): "يقال: حاججته أحاجّه حجاجاً، ومُحاجّة حتى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...والْحُجَّة: البرهان، وقيل: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون الظفر به عند الخصومة...وهو رجل محجاج أي جدل، والتّحاج التّخاصم...وحجّه يحجّه حجّاً: غلبه على حجّته..."<sup>2</sup>

وليست معاني مصطلح (Argument) الذي تُرجم عنه لفظ الحجاج في العربيّة ببعيدة عن تلكم المعاني، فهو في اللّاتينيّة يعني الشّيء الواضح الظّاهر، وفي الفرنسية هو استعمال الحجج، أو الاعتراض بها في مناقشة ما، وهو الدليل يُدافع به عن قضية ما بُغية التّأثير في المتلقّي.<sup>3</sup>

#### ثانياً: الحجاج اصطلاحاً

تعدّدت مفاهيم الحجاج وتباينت أصنافه؛ لتعدّد مجالات الدّارسين الذين عنوا بهذا المصطلح، ولكنّ تعدّد تعريفاته وأصنافه لم يخرجها عن أحد نوعين؛ لعلّهما أبرز أنواع الحجاج، وهما: الحجاج البلاغيّ، والحجاج اللسانيّ اللغويّ.

<sup>1</sup> ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ح ج ج)، تح: عبد السلام هارون، ج2، دار الفكر، بدون ط، 1399هـ- 1979م، ص 29.

<sup>2</sup> ابن منظور، (لسان العرب)، مادة (ح ج ج)، تح: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، دون ط، دون ت، ص 778\_779.

<sup>3</sup> ينظر: شهرزاد، بن يونس، آليات الخطاب الحجاجي وتطبيقاته في القرآن، مجلة رفوف، ع 9، 2016، ص 322.

أما البلاغيّ فيمكن نسبة ميلاده إلى أرسطو في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت هذه البلاغة الأرسطيّة قاسمًا مشتركًا بين الجدل؛ القائم على المناقشة النظريّة العقلية المحضّة بالاستقراء أو القياس الحقيقيّ والخطابة التي تتجاوز العقل إلى التأثير العاطفيّ في الجمهور لغرض استمالته "ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع"<sup>1</sup>، ويعرّف أرسطو الخطابة بأنها: "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أيّ موضوع كان"<sup>2</sup>. هذه البلاغة الأرسطيّة الحجاجية اندثرت مدّة من الزمن؛ لتتبعث من جديد على يد (بيرلمان وتيتيكا) في خمسينات القرن الماضي، حيث قام هذان العالمان بتوسيع مجالها لتضمّ الخطابات باختلاف أنواعها السياسيّة والقانونيّة والاجتماعيّة والدينيّة والأدبيّة...، كما حاولا تخليصها من الاستدلال الصوريّ ومن المغالطة والمناورة.<sup>3</sup>

وفي إطار هذه البلاغة الجديدة المنبعثة عدّ الحجاج "مجموعة الأفعال الإنسانيّة التي تسعى إلى الإقناع"<sup>4</sup>، كما عرّف بـ"تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"<sup>5</sup>.

وأما اللغويّ/ اللسانيّ فهو يتعارض مع الحجاج البلاغيّ الأرسطيّ والبيرلمانيّ، فمن المرجعيّة البلاغيّة إلى المرجعيّة اللسانيّة (اللغويّة) ولا شيء خارج اللغة.

والحجاج الأخير هو موضوع الدرس في هذه الأطروحة، وسيتجلّى مفهومه من خلال التّظهير والتّحليل القادمين إن شاء الله.

---

<sup>1</sup> صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط 2، 2007، ص 18.  
<sup>2</sup> الولي، محمد، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايبم بيرلمان، الحجاج مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، سبتمبر 2011، ص 26.  
<sup>3</sup> ينظر: السابق، ص 33-34.  
<sup>4</sup> بروطون، فيليب، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، ص18.

<sup>5</sup> صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، ط1، 2011، ص 13.

## في مفهوم التداولية

### أولاً: التداولية لغة

يعود لفظ التداولية في اللغة إلى الجذر الثلاثي: (د و ل)، ومن معناه في لسان العرب: "الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء... والدولة في الحرب أن تدار إحدى الفئتين على الأخرى... والدولة اسم للشيء الذي يتداول به، وما يتداول من المال...<sup>1</sup>، وفي مقاييس اللغة يقول ابن فارس: "الدال والواو واللام أصلان أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء...<sup>2</sup>"

ومن ذلك يتبين أن من معاني التداولية لغة: الغلبة في الحرب، والضعف والاسترخاء، وتداول المال وغيره...

### ثانياً: التداولية اصطلاحاً

شغلت التداولية مكاناً في الدراسات اللغوية والنقدية، فكان لها أصحابها الذين عُنوا بدراساتها وأولوها اهتمامهم، وعلى إثر تعدد الدارسين تعددت تعريفاتها، وتنوعت طرائق دراستها.

وعلى أية حال، فقد عُرِّفت التداولية في أول ظهورها عام 1938 بأنها: "العلاقة التي تربط العلامات بمؤولياتها"<sup>3</sup>، وهي في هذه المرحلة كانت تقتصر على دراسة الضمائر والظروف الزمانية والمكانية وغيرها من التعبيرات التي تكتسب دلالتها من خارج اللغة وتؤثر في سياق التواصل، كما كانت \_ في ذلك الحين \_ منفصلة عن التركيب والدلالة؛ إذ إن الدراسات اللغوية كانت في تحليلها للمفوضات تدرس كلاً من التركيب والدلالة والتداولية بشكل مستقل لا تربطه بالمستوى الآخر أية علاقة، فالتركيب يُعنى بالتأليف بين المكونات اللغوية (النحو)، والدلالة تربط العلامات أو العناصر اللغوية بمضامينها، والتداولية تربط العلامات بمؤولياتها، وتدرس مقام

<sup>1</sup> ابن منظور، (لسان العرب، مادة (دول)، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، ج 11، ص 252-253.

<sup>2</sup> ابن فارس، المقاييس، مادة (دول)، ج 2، ص 314.

<sup>3</sup> حمو الحاج، ذهبيّة، التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2015، ص 126.

التّخاطب وما يؤثّر به من عناصر خارجيّة (اجتماعيّة، نفسيّة، مكانيّة...)، كما نظر إلى التّواصل (نقل المعلومات أو الإخبار) على أنّه الفعل الأساس للغة.<sup>1</sup>

وباختصار، فإنّ التّداولية هي اعتماد عوامل من خارج اللّغة في عمليّة تأويل الملفوظات وفهم مضامينها، كالعوامل النفسيّة، والاجتماعية للمتكلّمين والمخاطبين، وخبراتهم، ومكان الخطاب وزمانه... وغيرها.

### من التّداوليات الكلاسيكيّة إلى التّداوليّة المدمجة

إنّ التّداوليّة التي قاربت الملفوظات مقارنة وصفيّة خطيّة (تركيب، دلالة، تداول)، وحكمت عليها منطقياً، أي: تكون الملفوظات صادقةً إن طابقت الواقع، وكاذبةً إن خالفته، تلك التّداوليّة مثّلت تياراً تداولياً منطقياً مغايراً لتيّار التّداوليّة المدمجة الذي سيأتي في مرحلة لاحقة.<sup>2</sup>

جاءت التّداوليّة المدمجة لترفضَ ذلك التّصور التقليديّ الذي يفصل بين التّداوليّة والدّلالة؛ ويكونَ شغلها دمجَ التّداوليّة في الدّلالة، ومجالُ بحثها " الجزء التّداوليّ المدمج في الدّلالة"<sup>3</sup>، ولا ريب أنّ لأرباب التّداوليّة المدمجة ما يبرّر توجّههم؛ فهم يحتجّون بأنّ ثمّ ظواهر تداوليّة تتكشف من المستوى الأول، مستوى البنية والتركيب، وبأنّ في البنية اللّغويّة نفسها مؤشراتٍ على عمليّة القول (التّداوليّة\_ الاستعمال اللّغوي).<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحججيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2014، ص21-23.

<sup>2</sup> ينظر: ريبول، آن، وموشلر، جاك التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، ت: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص29.

ويمكن النظر أيضا في: ريبول، آن، وموشلر، جاك، القاموس الموسوعي للتّداوليّة، ت: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعة التونسية بإشراف: عز الدين المجذوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010، ص41.1

<sup>3</sup> المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب (أهم النظريات الحجاجية من أرسطو إلى اليوم)، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة، كلية الآداب، منوبة، تونس، مكتبة الإسكندرية، ص351.

<sup>4</sup> ينظر: الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحججيات اللسانية، ص29-30.

ظهرت إرهابات التداولية المدمجة عند كل من (أوستين) و(سيرل) فيما عُرف بنظرية أفعال الكلام/ الأفعال اللغوية، وقد هدفت هذه النظرية إلى "إبراز الانعكاس الواضح للأوضاع التلفظية والاستعمالية في البنية الداخلية للغة"<sup>1</sup> ومفادها: أن كل كلامنا أفعال، فهي تعارض التسليم بوصفية اللغة وإخباريتها، كوظيفتين أساسيتين للغة ولا شيء غيرهما، وترى أن الجمل، حتى الخبرية منها، إنما تحقق أفعالاً، وتسعى لإحداث تغيير ما، وليست الجمل مجرد وصف لحالة من حالات الواقع أو نقل لخبر ما، خذ مثلاً قول أحدهم "أعدك أن أزورك غداً"، إن جملة من هذا القبيل لا تصف حالة ما، ولم يتلفظ بها المتكلم لمجرد الإخبار، بل إنه يفرض على نفسه التزاماً ويحقق نوعاً من الميثاق بينه وبين مخاطبه، ثم إن هذه الجمل لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، بل يحكم عليها بالتوفيق\_ إن تحقق الفعل\_ أو بالإخفاق\_ إن فشل في تحقيقه\_ وقد بين (أوستين) أن الفعل اللغوي يتمظهر في واحد من مظاهر ثلاثة يتضمنها، وهي:<sup>2</sup>

- الفعل القولي/ الكلامي:<sup>3</sup> وهو الفعل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، "مجرداً عن أي قصد معين"<sup>4</sup>.

- فعل الإنجاز/ التكلمي: وهو الفعل المتضمن في القول (الفعل مصحوباً بقصدية معينة).

- فعل التأثير/ التكلمي: وهو التأثير الذي يولده القول لدى المخاطب.

فعندما يقول أب لابنه قبل النوم\_ على سبيل المثال: "تظف أسنانك" ينجز عملين في آن واحد، فهو ينجز عملاً قولياً بمجرد تلفظه، وينجز عملاً ضمناً يتمثل في أمره ابنه بتنظيف أسنانه.

<sup>1</sup> السابق، ص 24.

<sup>2</sup> ينظر: ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، 30-32.

<sup>3</sup> تسمية الأفعال اللغوية بالكلامي والتكلمي والتكلمي هي تسمية طه عبد الرحمن في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 260.

<sup>4</sup> الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحججيات اللسانية، ص 28.

وإذا أجاب الابن أباه بقوله: " لا أشعر بالنعاس" فإنه ينجز ثلاثة أفعال في الوقت ذاته: فعلاً قولياً يتحقق بمجرد تلفظه، وفعلاً ضمناً يتمثل في الإخبار بعدم الرغبة بالنوم، وفعلاً تأثيرياً يتمثل في إقناع الأب بإمهاله وقتاً لتنظيف الأسنان بما أنه لم يشعر بالنعاس بعد.<sup>1</sup>

إنّ نظرية الأفعال الكلامية - على أهميتها- لا يمكنها أن تؤسس نظرية في التداولية المدمجة؛ نظراً لعدم كفاية تصنيفاتها؛ إذ تمّ ظواهر تداولية أساسية كامنة في اللغة لم تسعها هذه النظرية، كالحجاج مثلاً.

ويمكن القول: إنّ الولادة الحقيقية للتداولية المدمجة كانت على يد كلٍّ من (ديكرو) وتلميذه (أنسكومبر) في تأسيسهما لنظرية الحجاج في اللغة.

فما المقصود بالتداولية المدمجة عندهما؟، وما الجديد الذي تداركته على ما سبقها من تداوليات؟ وإن كانت نظرية الحجاج في اللغة تداولية مدمجة، فما الحجاج اللغوي؟ وكيف يكون؟

### التداولية المدمجة عند (ديكرو) و(أنسكومبر)

بدأت جهود (ديكرو) و (أنسكومبر) بتدقيقهما ومراجعتهما النقدية للدراسات اللغوية السابقة، ولما كانت تلك الدراسات تنزع نزعة منطقيّة - كما أسلفت - إنّ في إخضاع الملفوظات لمعيار الصدق والكذب، وإنّ في تحليلها لها وصولاً إلى الدلالة اللغوية، حيث اعتمادها تصنيفاً تراتبياً خطياً تشرع فيه في تحليل التركيب، يليه إسناد الدلالة الحقيقيّة إلى العناصر اللغوية، انتهاءً بدراسة استعمال اللغة في الخطاب وما فيه من فاعلية تكلمية وسياق زمني مكانيّ و... (التداولية)، تحليلاً يفصل بين الدلالة والتداولية، وكأنّه لا وجود لتداولية في البنى اللغوية، وكانت تلك الدراسات أيضاً تسند إلى اللغة وظيفة وصفية تواصلية، فالغرض من الخطابات الإخبار وإيصال المعلومات حسب، ولما كان الحال كذلك، فما كان من الباحثين إلّا أن شرعوا في التأسيس لتشييد بناء نظريّ بديل، أساس التّأويل فيه ومُرتكزُه "إدماج الوقائع التداولية في قلب الدرس الدلالي"<sup>2</sup>،

<sup>1</sup> ينظر: ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص32.

<sup>2</sup> الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 10.



وهذا ما عُرف بالتداولية المُدمجة عند (ديكرو) و(أنسكومبر)، وقد اهتمت هذه التداولية " بدراسة استعمال اللغة في الخطاب، والعلامات النوعية للسان وتأكيد قدرتها الخطابية"<sup>1</sup>، وهكذا أصبحت التداولية جزءاً لا يتجزأ من اللسانيات<sup>2</sup>.

إنّ إصرار الباحثين (ديكرو) و(أنسكومبر) على إدماج الوقائع والظواهر التداولية في الدلالة نابغ من إيمانها بأنّ تلكم الوقائع والظواهر تتموضع في البنى اللغوية، وتنعكس في المستوى اللغويّ الأول، فلا حاجة إذن للفصل بينها وبين المستويات اللغوية الأخرى في التحليل الدلالي، بل لا بدّ من تعالق المستويات جميعها تركيباً ودلالةً وتداوليةً للوصول إلى معنى الملفوظ، ومن المسلم به تداولياً أنّ نوايا المتكلمين وسياقات الكلام تدخل في معنى الملفوظ، وفي ذا، يرى (ديكرو) أنّ مثل هذه المعطيات التداولية تنطبع في بنية القول، وهذا ما قصده بقوله: "إنّ القول منطبع في المقول"<sup>3</sup>، ثمّ إنّ "كلّ ملفوظٍ يحمل بشكلٍ جوهريّ وداخليّ مؤشّراتٍ تُلَفْظِيَّةً تمنحه معناه وتفسّر اقتزانه بهذا المعنى دون غيره"<sup>4</sup>.

## النظرية ذات الشكل Y

من أجل أن تتحقّق ل(ديكرو) غايته في التخلّي عن الخطيّة، العاجزة عن إسناد المعاني إلى الملفوظات بشكل متكامل، كان لا بدّ له من اقتراح ما يحلّ محلّها في عملية التّأويل، وقد اقترح (ديكرو) لذلك نظريّةً بديلةً تتفاعل فيها المعطيات اللغوية والمعطيات البلاغية للوصول إلى تحديد معاني الأقوال، تلك النظرية سُميت بالنظرية "ذات الشكل Y"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> بلخيري، عبد المالك، *التداولية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية*، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثامن، ج1، 2017، 116. (التعريف هو ترجمة الباحث من كتاب أجنبي).

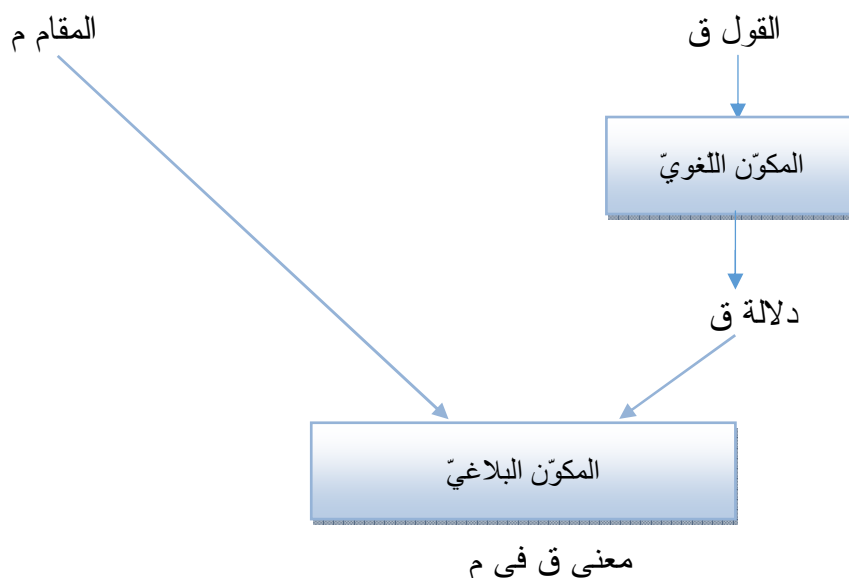
<sup>2</sup> ريبول، آن، وموشلار، جاك، *التداولية اليوم علم جديد في التواصل*، ص 47.

<sup>3</sup> الراضي، رشيد، *المظاهر اللغوية للحجاج*، ص 29.

<sup>4</sup> عادل، عبد اللطيف، *بلاغة الإقناع في المناظرة*، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، 1434، ص 96.

<sup>5</sup> ريبول، آن، وموشلار، جاك، *القاموس الموسوعي للتداولية*، ص 42.

ولتوضيح آلية اشتغالها لا بدّ من رسم المخطّط التّوضيحي كما جاء به (ديكرو)، وهو على النحو الآتي:<sup>1</sup>



شكل(1): مخطّط توضيحي للنّظرية ذات الشكل Y

يميّز (ديكرو) في حدود نظريته الجديدة بين مكوّنين، أحدهما لغويّ/ لسانيّ، والآخر بلاغيّ/ خطابيّ/ تداوليّ، أمّا اللّغويّ/ اللّسانيّ فيُعنى بمعطيات لغويّة مَحْضَة دون الحاجة إلى أيّة معارف غير لغويّة، وأمّا البلاغيّ/ الخطابيّ/ التّدالويّ فـ"يضطلع بوظيفة البحث في السّياق الكلاميّ عن العناصر الضّروريّة لملء الطّبقات الفارغة في دلالة الجملة"<sup>2</sup>، ليُجري تالفاً بين هذين المكوّنين في عمليّة التّأويل؛ حيث يُبتدأ بالمرحلة اللّغويّة التي تطبق فيها التّعليمات المفروضة من العناصر اللّغويّة لصياغة الدّلالات، ويختتم بالمرحلة البلاغيّة التي تربط دلالات الأقوال بسياقاتها وما يدخل فيها من أحوال المتكلّمين والمخاطبين ومكان القول وزمانه وغيره من العناصر المؤثّرة في مقام القول، ليحدّد في النهاية معنى القول الفعليّ المتحقّق سياقيّاً.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ريبول، آن، وموشلار، جاك، القاموس الموسوعي للتّدالويّة، ص 43.

<sup>2</sup> ختام، جواد، التّدالويّة أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، ط1، 2016-1437، ص 135.

<sup>3</sup> ينظر: السّابق، ص 135-136، ريبول، آن، وموشلار، جاك، القاموس الموسوعي للتّدالويّة، ص 42-43، المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص 354-356.

وزيادةً في إيضاح الفرق بين التحليل التقليدي للمفوضات، والتحليل الذي يأخذ باعتباره المعطيات التداولية نأخذ المثالين الآتيين:

### 1. "إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون"<sup>1</sup>

في المنظور التقليدي سيجري تحليل المفوض خطياً، تركيبياً فدلالياً فتداولياً، يُنظر في التركيب في صحة الإسناد، والتأليف بين الوحدات اللغوية، وهو تركيب سليم لا يتعارض وقواعد العربية، ثم تشكل مخرجات التركيب مدخلاً للدلالة، لتبحث الأخيرة في معاني الوحدات اللغوية، وتعطيها قيمها الدلالية، وتنظر في صحة معانيها؛ فيكون المفوض صادقاً إن طابق الواقع، وكاذباً إن خالفه، وتصير مخرجات الدلالة بدورها دخلاً للتداولية التي ستجيب عن أسئلة من قبيل: من المتكلم؟ ما الأسباب التي دفعت به للتلفظ بهذا المفوض؟ ما زمان القول ومكانه؟...بيد أن هذا التحليل الذي يفصل بين الدلالة والتداولية يظل قاصراً عن الإحاطة بمعنى المفوض؛ إذ إن الدلالة التداولية ليست مضافة إلى معنى المفوض، إنما هي جزء منه تشارك في صنعه، فثم ظواهر تداولية تتجلى في المستوى اللغوي الأول، خذ مثلاً ضمير المتكلم (أنا)، وضمير المخاطب (أنت)، إننا لا نستطيع إسناد معنى إلى الضميرين، وتعيين المتكلم والمخاطب بمعزل عن السياق الذي ورد فيه، وحتى يتسنى لنا ذلك، لا بد من إشراك التداولية في الدلالة والكف عن فصلهما.

### 2. "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم"<sup>2</sup>

في التحليل التقليدي يعدّ الرابطة (لكن) مجرد رابطة لغوية يُخبر بقضية ما، تغاير قضية أخرى تأتي قبل الرابطة، أما في التحليل الحديث الذي يدمج الدلالة في التداولية فإنّ (لكن) يعدّ رابطاً يحتاج لصالح قضيته، ويوجّه الخطاب كله نحو المعنى الذي يريده هو.

ففي القول السابق قد يفهم من قوله: "ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به" أن لا حرج في الخطأ عموماً، ولكن، وجود الرابطة (لكن) مع قوله: "ولكن ما تعمدت قلوبكم" صحّح الفهم ووجّهه إلى

<sup>1</sup> سورة يوسف، آية 69.

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، آية 5.

نتيجةً مختلفة توقع الجناح على ما تعمدته القلوب من الخطأ، فيصبح المعنى: عليكم جناح فيما تعمدته قلوبكم من الأخطاء.

وبالتالي، تكون (لكن) بمثابة حجة للإفصاح عن اعتقاد، لا مجرد رابط لغوي للإخبار بمحتوى ما.

ومما وجب التنبه إليه في هذا الصدد، أنّ الباحثين في إطار اشتغالهما في التداولية المدمجة، سيغضّان الطرف في مرحلة لاحقة عن كثير من الوقائع والمعطيات التي تعدّ من مجالات التداولية، كمعطيات السياق والمعطيات التخاطبية، لصالح المعطيات التداولية المنبئة في صميم اللغة، مع التركيز على استعمال مخصوص للغة هو الاستعمال الحجاجي.

### مراجعة بعض المفاهيم وتدقيقها

بعد أن أرسى (ديكرو) منظوره الجديد في تأويل الملفوظات، كان عليه أن يدقّق وتلميذه (أنسكومبر) بعض المفاهيم التي من شأنها أن تفضي إلى اللبس أو الخلط في الاستعمال دون مميّز بينها، ومن تلك المفاهيم التي أعادا تعريفها وأقاما ميّزاً بينها، مفهوم الجملة والملفوظ، ومفهوما الدلالة والمعنى.

قد يتوهم بعض الدارسين أنّ الجملة والملفوظ مترادفان، في حين أنّ الجملة تتمايز من الملفوظ؛ فالأخير هو تحقّق الجملة واستعمالها في سياقات متعددة، أمّا الجملة فهي كيان لساني محض، ويشرح الراضي ذلك الميّر الذي أقامه كلٌّ من (ديكرو) و(أنسكومبر) بين الجملة والملفوظ قائلاً: "فالجملّة حسب أنسكومبر وديكرو مفهوم علمي نظري خاص بعالم اللسانيّات، وليست حقيقة واقعة في عالم الناس، ويقصد بها تلك الوحدة اللسانية المجردة، دون أي ارتباط بالسياق، وتنتقل الجمل لتصير ملفوظات محقّقة، حين يتمّ لفظها، أي حين يتمّ استعمالها في سياقات محدّدة"<sup>1</sup>، وقد يخال آخرون أنّ الدلالة نظيرة للمعنى، غير أنّ أحدهما لا يشاكل الآخر في مفاهيم (ديكرو) و(أنسكومبر)؛ إذ إنّ الدلالة عندهما خاصّة بالجملة، فهي ناتج إسناد القيم الدلاليّة للوحدات

<sup>1</sup> الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 38.

المعجمية التي تتألف منها الجملة، "إنها مجموع السمات المنطقية التي تحملها وحدة معجمية أو مجموعة من الوحدات"<sup>1</sup>، لتشكل القيم الدلالية للجمل بدورها إرشادات/ قوانين يستعين بها المؤول في الوصول إلى معنى الملفوظ، والمعنى هو القيمة الدلالية في مقام تخاطبي محدد؛ أي إنه مرتبط بالملفوظ.<sup>2</sup>

### فرضيات التداولية المدمجة

قام (ديكرو) و(أنسكومبر)، في أثناء تعديلها للدراسات الكلاسيكية، بوضع فرضيات جديدة لتداوليتهما المدمجة، قُسمت فيه الفرضيات إلى نوعين: خارجية، وداخلية.

أما الفرضيات الخارجية فتمثلت في كون المتكلمين بلغة ما قادرين على منح معاني للملفوظات التي يتم إنجازها بوساطة هذه اللغة، ويكون دور التداولية المدمجة، في إطار هذه الفرضية، الإجابة عن الكيفية التي تُسند بها المعاني إلى الملفوظات.<sup>3</sup> فمثلا في الملفوظات الآتية:<sup>4</sup>

• نسيت \_كما العادة\_ أين وضعت مفاتيح السيارة.

• زيد ذكي.

• زيد ذكي، لكنه مهمل.

يستطيع المخاطب بهذه الملفوظات أن يدرك مباشرة أنّ المتكلم في الملفوظ الأول ينجز فعل الاستخبار، وأنّ الثاني ينجز حجاجاً في صالح زيد، أما الأخير فينجز حجاجاً سلبياً في غير صالح زيد، ويبقى على التداولية المدمجة هنا أن تعرف الآلية التي يتم بها إسناد هذه المعاني إلى ملفوظاتها.

<sup>1</sup> ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 137.

<sup>2</sup> ينظر: السابق.

<sup>3</sup> ينظر: الراضي، رشيد، الحجاجية اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، مجلة عالم الفكر، المجلد 34، 2005، ص 223.

<sup>4</sup> السابق، ص 224.

وأما الفرضيات الداخليّة فهي التي " تبرز الطّبيعة العلميّة النظريّة لعمليّة إسناد الدّلالة إلى الجمل"<sup>1</sup>؛ والجمل ليست هي الملفوظات - كما أشرنا- . وعليها "أن تفسّر كيف تتمّ عمليّة المرور إلى القواعد الكليّة التي تحكم عمليّة تأويل الجمل"<sup>2</sup> من خلال وضع مجموعة من القواعد العامّة.

وبناء على ذلك، تكون الفرضيات الداخليّة ملائمة إذا تمكنا بوساطتها من تفسير أنّ دلالة الجملة الثّانية في الأمثلة السّابقة هي إسناد توجّه حجاجيّ موجب في صالح زيد، خلافاً للأخيرة حيث إنّ دلالتها إسناداً توجّه حجاجيّ سالب، في غير صالح زيد، ويكون هذا التّفسير اعتماداً على فرضيّة داخليّة خاصّة بالرّابط (لكن)، تجعل كلّ ملفوظات الجملة المقترنة بهذا الرّابط تتّجه وجهةً سلبيةً.<sup>3</sup>

### الحجاج اللّغويّ (اللسانيّ)

استجابة لرغبتهما في تأسيس تداوليّة مُدمجة، تبحث في الجوانب التّداوليّة المنبثّة في البنى اللّغويّة، لتكون أساساً في التّكهن بمعاني الملفوظات، والبدء في تطبيق ذا المشروع، عمل (ديكرو) و(أنسكومبر) على بناء نظريّة في الحجاج حديثة - كأهمّ واقعة تداوليّة، وأهمّ جانب إجرائيّ للتّداوليّة المدمجة- ترى في الحجاج أساس اللّغة وغايتها، سمّيت نظريّة الحجاج اللّغويّ أو اللّسانيّ.

بعدّ ذا المشروع من الحجاج منظوراً حديثاً، معارضاً لمنظور في الحجاج آخر، كان الأبرز قبله، وهو الحجاج البلاغيّ (ذُكر في مفهوم الحجاج) أو الحجاج بمعناه العادي<sup>4</sup> - حسب مفهوم ريبول وموشلار - حيث كان تركيز الحجاج البلاغيّ وشغله الشّاغل هو: "الوسائل الخطابيّة التي تحقّق إذعان العقول"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الراضي، رشيد، الحجاجيات اللسانية عند ديكرو وأنسكومبر، عالم الفكر، ص 224.

<sup>2</sup> السابق.

<sup>3</sup> ينظر: السابق.

<sup>4</sup> ريبول، آن، وموشلار، جاك، القاموس الموسوعي للتداوليّة، ص 93.

<sup>5</sup> صولة، عبد الله، البلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، من كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة/ الحجاج: حدود وتعريفات، (مجموعة أبحاث لأساتذة متعدّدين)، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، الجزء الأول، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص 32.

أما الحجاج اللغوي/ اللساني (الحجاج بمعناه الفني)<sup>1</sup> فهو يتعارض مع الحجاج البلاغي الأرسطي والبيرلماني، بأن ركز اهتمامه على اللغة نفسها دون التركيز على ما هو خارجها.

تعدّ النظرية الحجاجية اللسانية التي أسسها (ديكرو وأنسكومبر) إحدى التصورات الدلالية الحديثة، وهي نظرية تنصب اهتمامها على الوسائل اللغوية التي توفرها اللغات الطبيعية، وعلى الطاقات الحجاجية الكامنة فيها، والتي تمكن المتكلم من توجيه خطابه نحو النتيجة التي يريدها؛ كما تنطلق من فكرة محورية يبنّاها (ديكرو) و(أنسكومبر) مؤداها "أنا نتكلم عامة بقصد التأثير"<sup>2</sup>.

تلك النظرية ترمي إلى تبيان أنّ اللغة "تحمل في طياتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها، صوتياً، وصرفيًا، وتركيبياً، ودلاليًا"<sup>3</sup>، وتعني أنه ثمّ مؤشرات لهذه الوظيفة في البنية الداخلية للمفوضات.

إنّ الوظيفة الحجاجية للغة تصير مع ديكرو وتلميذه وظيفة مركزية\_ في مقابل الوظيفة الإخبارية التي تبنتها التداوليات الكلاسيكية\_ وأية وظيفة أخرى للغة تابعة لهذه الوظيفة، أو تأتي في مراحل لاحقة بها، حتّى ليقول رشيد الرّاضي \_ معبراً عن وجهة نظر (ديكرو) في حجاجية اللغة\_ إنّ "كلّ استعمال للغة هو في حدّ ذاته حجاج بغضّ النظر عن السّياق الخارجيّ لهذا الاستعمال وأغراضه المخصوصة، ما دام أنّ الحجاج مؤصّل في الأنسجة القاعدية للغة"<sup>4</sup>، ثمّ إنّ "كلّ كلام حسب هذه النظرية حجاجي بالقوة"<sup>5</sup>.

وقد شكّلت نظرية أفعال الكلام - سالفه الذكر - منطلقاً لأبحاث (ديكرو) و(إنسكومبر) في مجال الحجاج، فمن رحم تلك النظرية وُلدت نظرية الحجاج اللغوي، كان ذلك عندما اقترح ديكرو

<sup>1</sup> ريبول، آن، وموشلار، جاك، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 93.

<sup>2</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 14.

<sup>3</sup> حمداوي، جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص 33.

<sup>4</sup> الرّاضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 12.

<sup>5</sup> بو قمر، عمر، نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة، مجلة العاصمة، مجلة بحثية سنوية محكمة،

المجلد التاسع، 2017، ص 167.

إضافةً فعلين لغويين إلى أفعال الكلام، هما: فعلُ الحجاج وفعلُ الاقتضاء، وأعاد تعريف مفهوم فعل الإنجاز ليصبح "فعلًا لغويًا موجّهًا إلى إحداث تغييرات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات"<sup>1</sup>، ثمّ عدّ فعل الحجاج مظهرًا من مظاهر فعل الإنجاز؛ كونه مصحوبًا بقصدية معينة تفرض على المخاطب نمطًا محددًا من النتائج.

ومهما يكن، فإنّ مفهوم الحجاج عند (ديكرو وأنسكومبر) مفهومٌ جديدٌ، فهو ليس نظير الاستدلال المنطقيّ أو البرهان، إنّهُ لا يقدّم حججًا منطقيةً أو مسلماتٍ لصالح إثبات صدق قضيةٍ ما، بل إنّ وظيفته تتمثّل في "أن يقدّم المتكلّم قولًا أو مجموعة من الأقوال موجّهة إلى جعل المخاطب يقبل قولًا أو مجموعة أقوال أخرى سواء أكان ق2 صريحًا أم ضمنيًا وهذا الحمل على قبول ق2 على أنّه نتيجة للحجّة ق1\* يسمّى عمل محاجة"<sup>2</sup> وبذلك يكون القولُ الأوّلُ حجّةً تقود المستمع إلى استنتاج القول الثاني (النتيجة)، الذي يكون صريحًا أو ضمنيًا، إنّ كلّ واحد منهما ينتمي إلى نظامٍ جدّ مختلف عن النظام الذي ينتمي إليه الآخر؛ إذ ينتمي الاستدلال إلى المنطق، في حين أنّ الحجاج يكون في الخطاب، وإن كانت الأقوال التي تتألف منها الاستدلالات مستقلة، وكلّ واحد منها يحيل إلى قضية من قضايا الواقع فيكون تسلسل الأقوال مؤسسًا على القضايا التي تتضمنها، فإنّ الحجاج أمره مغاير؛ حيث يتأسس على البنية الداخلية للأقوال، وعلى طريقة تسلسلها في الخطاب.<sup>3</sup>

ولتوضيح مفهوم الحجاج عند (ديكرو وأنسكومبر) نأخذ الأمثلة الآتية:

أ. الطّقس جميل؛ إذن نخرج في نزهة.

ب. - الطّقس جميل، هل تودّ الخروج معي في نزهة؟

إنّه جميل، ولكنني متعب.

<sup>1</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 1426-2006، ص 16.

\* يقصد بق1: القول الأول، وق2: القول الثاني.

<sup>2</sup> المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص 360.

<sup>3</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، الحجاج في اللغة، ص 17، المبخوت، شكري، نظرية الحجاج اللغوي، 361-362.



في المثال (أ): يعدّ ملفوظ (الطقس جميل) حجةً لصالح الملفوظ (إذن نخرج في نزهة) والذي يشكّل بدوره نتيجةً للملفوظ السابق، وتعدّ (إذن) رابطاً حجاجياً، وهي إحدى الوسائل التي تعكس اللغة بها وظيفتها الحجاجية.

أمّا في المثال (ب)، فإننا نجد المتكلم الثاني، يقدم قولين، كل واحد منهما يخدم نتيجة مضادة لنتيجة القول الآخر؛ فهو عندما تلفظ بقول وافق فيه على جمال الطقس، فإنه قدّم حجةً لصالح النتيجة التي يريدّها المتكلم الأول وهو أن يخرج معه في نزهة، ولكنه أرفق قوله الأول بقول آخر شكّل حجةً ثانية تخدم نتيجة مضادة وهي عدم الخروج، هذه الحجة الثانية التي جاءت بعد الرابط (لكن)، تُفهم المستمع أنّ المتكلم لا يرغب بالخروج، وبذلك تكون قد وجهت الخطاب/الملفوظ بأكمله نحو نتيجتها المضادة، لتكون هي الحجة الأقوى في الملفوظ.

تأسيساً على ما سبق، يكون الحجاج: "هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة... ويتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال (تسلسلات استنتاجية)، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"<sup>1</sup>، بيد أنّ الباحثين سيتراجعان عن مفهومي الحجة والنتيجة هذين، لتصبح الحجة "عنصرًا دلاليًا يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر"<sup>2</sup>.

أمّا جوهر الحجاج اللغوي فيتمثل في التوجيه الحجاجي (الوجهة الحجاجية)، حيث يبيّن (ديكرو) أنّ غاية الخطاب الحجاجي تتبلور في إلزام المخاطب بنمط معين من النتائج بوصفه الوجهة الوحيدة التي يمكن للخطاب أن يسلكها، وبهذا يمتلك الخطاب الحجاجي سلطته<sup>3</sup>؛ فعندما نقول لشخص ما: إنّ هذه السيارة جيّدة وسعرها مناسب، فنحن لا نريد إخباره بذلك بقدر ما نحته على شرائها، ونكون قد بذلنا جهدنا في توجيهه إلى استنتاج أنّ شراءه للسيارة أمرٌ حسنٌ بالنسبة إليه.

<sup>1</sup> العزاوي، أبو بكر، الحجاج في اللغة، ص 16.

<sup>2</sup> السابق، ص 18.

<sup>3</sup> ينظر: الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011، ص 23-24.

## مواطن الحجاجية في اللغة

قلنا إنَّ الحجاجَ متجذّرٌ في البنى الداخليّة للغة، وهو الوظيفة المحوريّة لها، وإنَّ اللغةَ تتضمّن مؤشّراتٍ إلى هذه الوظيفة، فما المؤشّرات التي تؤشّر إلى الحجاج؟، وإن كان أساسُ الحجاج توجيههُ الخطابَ نحو وُجهةٍ محدّدة، فكيف تُعين تلكم المؤشّرات في التوجيه الخطابي، أو، ما دورها؟

تتمثّل تلكم المؤشّرات اللغويّة بالعلامات وبعض الخصائص التركيبيّة التي تزخر بها اللغات الطّبيعيّة، من عوامل حجاجيّة، وروابط حجاجيّة، وعلاقات سلّميّة (نسبة إلى السّلم الحجاجي)، واستعارات حجاجيّة، إلى جانب بعض خصائصها التركيبيّة كالاستفهام، والنفي، والأمر، والاقتضاء...

وفي هذا المقام سأكتفي بإجلاء بسيط لمفاهيم الروابط والعوامل الحجاجيّة والسّلم الحجاجي، والاستعارات الحجاجيّة من خلال سوق أمثلة توضيحيّة تبين فاعليّتها في التوجيه الحجاجي؛ إذ سيأتي التفصيل فيها في موضعها من فصول الدراسة\_ إن شاء الله\_.

أولاً: الروابط الحجاجيّة: مؤشّرات/ وسائل/ علامات لغويّة " تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصح (أو أكثر)، وتسنّد لكلّ قولٍ دوراً محدّداً داخل الاستراتيجية الحجاجيّة العامّة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات الآتية: بل، لكن، حتّى، لا سيما...<sup>1</sup>.

ولنأخذ المثالين الآتيين لإبراز كيف تربط تلك العلامات بين الأقوال وتوجّه الحجاج فيها، أو تدعّمه:<sup>2</sup>

1. زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان.

2. زيد ذكيّ، لكنه مهمل.

<sup>1</sup> العزاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي ضمن كتاب (التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه)، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 64.

<sup>2</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 65-66.

لو تأملنا المثال الأول فسنجد أنه يحتوي على حجة هي (زيد مجتهد)، ونتيجة مستنتجة منها (سينجح)، وهناك الرابطة الذي يربط بينهما (إذن)، وتعدّ (إذن) واحدة من الروابط التي تُدرج النتائج.

أمّا المثال الثاني، فإنه يحتوي على رابط (لكن) يربط بين حجتين هما: (زيد ذكي)، و (إنه مهمل)، ولو افترضنا أنه ملفوظ جاء في سياق الحديث عن استحقاق زيد لإدارة عمل ما، فسئلني أنّ الحجة (زيد ذكي) تدعم نتيجة استحقاقه للإدارة، أمّا الحجة الأخرى فإنها تؤدي إلى نتيجة مضادة لنتيجة الحجة الأولى، أي عدم استحقاق زيد لإدارة العمل، ولمّا كانت هي الحجة المدرجة بوساطة الرابطة (لكن) كانت نتيجتها النتيجة الأقوى، فيوجّه الرابطة الملفوظ (الخطاب) كلّه نحو هذه النتيجة المضادة. ومن الجدير ذكره هنا، أنّ (لكن) تنتمي إلى الروابط التي تُدرج حججاً قوية.

**ثانياً: العوامل الحجاجية:** تتماز العوامل الحجاجية من الروابط الحجاجية بأنّها لا تكون بين الأقوال، أي لا تربط بين مجموعة من الحجج أو بين حجة ونتيجة كالروابط، بل إنّها تكون " داخل القول الواحد"<sup>1</sup>، ويؤدّي دخولها على الأقوال إلى حصر الإمكانيات الحجاجية لتلك الأقوال وتقييدها، ومن أمثلتها: ربّما، ما... إلّا، تقريباً...<sup>2</sup>

وليتبيّن الدور الذي يُسهم به العامل الحجاجي نتوسّل بالمثالين الآتيين اللذين توسّل بهما العزّاوي:<sup>3</sup>

• تشير الساعة إلى الثامنة.

• لا تشير الساعة إلّا إلى الثامنة.

إنّ الفارق بين العبارتين السابقتين من حيث مركباتهما النحوية هو اشتغال الثانية على أداة القصر/ العامل الحجاجي (لا...إلا)، فما الذي تؤدّيه زيادة ذا العامل في الجملة؟

<sup>1</sup> المبحوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص 377.

<sup>2</sup> ينظر: العزّاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 64.

<sup>3</sup> ينظر: السابق، 64-65.

يُلاحظ أن لا اختلافَ بين العبارتين من حيث المحتوى الإخباري، فكلتاهما تنقل الخبر نفسه، وهو "الساعة الآن الثامنة"، إنَّ الفارق بينهما يكمن في القيمة الحجاجية لكل منهما، ثمَّ إنَّ كانت الإمكانات الحجاجية للأولى مفتوحة؛ إذ بإمكانها أن تخدم حجاجاً ما والحجاج المضاد له، فتفضي إلى نتيجة من قبيل: أُسرِعْ فالوقت تأخَّر، كما يمكن أن تخدم نتيجة من قبيل: لا داعي للإسراع هناك وقت كافٍ، فإنَّ إضافة العامل الحجاجي إلى العبارة قيّد إمكاناتها الحجاجية وحصرها؛ لتوجّه الحجاج نحو نتيجة واحدة، وهي "لا تشير الساعة إلّا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع".

**ثالثاً: السّلم الحجاجي:** هو علاقة ترتيبية للحجج ضمن فئة حجاجية واحدة، إذ يعدّ معياراً تحتكم إليه الحجج، فيتمّ من خلاله وضعها في تراتبية معينة من حيث الضّعف والقوّة.<sup>1</sup>

إنَّ الحجج التي تترتّب في سلّم حجاجي واحد تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، بمعنى أنها تتوجّه نحو الوجهة الحجاجية نفسها (نتيجة واحدة)، غير أنَّ إحداها تفوق الأخرى في قوتها الحجاجية.

ولإبراز المقصود بالسّلم الحجاجي وترتيب الحجج فيه نسوق الأمثلة الآتية:<sup>2</sup>

أ. حصل زيد على البكالوريوس.

ب. حصل زيد على الماجستير.

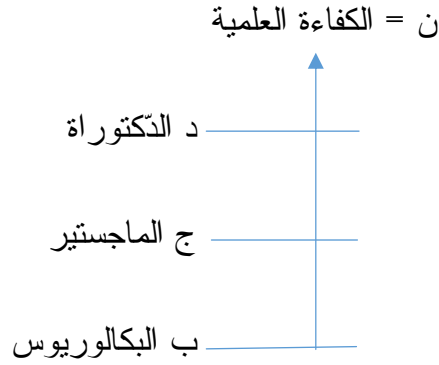
ج. حصل زيد على الدكتوراه.

لو أمعنا النظر في الأمثلة السابقة فسنجد أنها تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، وإلى السّلم الحجاجي نفسه، فكّلها تؤدي إلى نتيجة مُضمرة تتمثّل في كفاءة زيد العلمية، بيد أنَّ الحجّة الأخيرة هي أقوى الحجج في الإشارة إلى النتيجة، بالتالي ستأتي في أعلى درجات السّلم.

<sup>1</sup> جايلى، عمر، نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكر و أنسكومبر"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثالث، 2018، ص 200.

<sup>2</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 60.

ويمكن تمثيل الحجج السابقة في سلم حاجي كما يلي:



شكل(2): سلم حاجي يحاجج في كفاءة زيد العلمية

حيث: ن = النتيجة، د = الحجّة الأقوى، ج = الحجّة الأقلّ قوّة من الحجّة د والأكثر قوّة من الحجّة ب، ب = الحجّة الأضعف.

وحرّيُّ بنا، في هذا الصّدّد، أن ننوّه إلى أنّ الحجّة لا تكون حجّةً إلّا عند إضافتها إلى نتيجة في سياق خطابيّ ما، مع العلم أنّ النتائج قد تكون صريحة، وقد تكون ضمنية.<sup>1</sup>

رابعاً: الاستعارة الحجاجية: من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم لإقناع المخاطب بمقاصده الحجاجية، ويعدّ القول الاستعاريّ أعلى حججياً من القول العاديّ، فقولك مثلاً: زيدٌ أسد، أقوى حججياً من قولك زيدٌ شجاع.<sup>2</sup>

وعلى أيّة حال، فإنّ للسلم قوانينه، وللعوامل الحجاجية والروابط الحجاجية والاستعارة الحجاجية أنواعها وإشكالاتها، وهذا ما سيُرجأ التفصيل فيه إلى مكانه من هذه الدراسة.

### المبادئ الحجاجية/ المواضع

إنّ وجود الروابط والعوامل الحجاجية ليس ضامناً كافياً لقيام العلاقة الحجاجية، والربط السليم بين الحجّة والنتيجة؛ لهذا كانت الحاجة لضمّنٍ يحفظ للعملية الحجاجية سيرها بالوجه الصحيح،

<sup>1</sup> ينظر: جايلي، عمر، نظرية الحجاج اللغوي عند "أوزفالد ديكر و أنسكومير"، ص 200.

<sup>2</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 102-105.

ويصل الحجّة بالنتيجة، وفي الحجاجيات اللسانية شكّلت المبادئ الحجاجية (المواضع) ذلك الضامن؛ إذ هي أساس التّأليفات الخطابية الحجاجية عند (ديكرو) و(أنسكومبر)، يقول (أنسكومبر): "لقد قدّمنا المواضع عموماً باعتبارها ضمانات للتّأليفات الخطابية. فالانتقال من الملفوظ م 1 إلى الملفوظ م 2 يتمّ بفضل تدخل حدّ ثالث هو الموضع الذي يسمح بإقامة ارتباط بين هذين الملفوظين"<sup>1</sup>.

فالمبادئ الحجاجية، أو المواضع، هي مجموعة من القواعد والمبادئ العامة المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية، تجعل حجاجاً ما ممكناً، وتتسم بمجموعة من السمات، منها<sup>2</sup>:

أ. هي مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب. العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات.

ج. التّدرجية: فهي تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلّمين حجاجيين (العمل والنّجاح) مثلاً.

د. النسبية: فإن كان المبدأ الحجاجي صالحاً في سياق ما، فإن احتمال رفضه أو رده بمبدأ آخر معارض له في سياق آخر وارد؛ كونه غير ملائم لذلك السياق. فالعمل يُفضي إلى النّجاح، ولكنّه قد يُفضي إلى الفشل في سياق آخر وذلك إذا زاد عن الحدّ المطلوب.

وفي قوله -تعالى-، مثلاً: "آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير"<sup>3</sup>

إنّ المبدأ الحجاجي أو الموضع الذي ينظّم العلاقة الحجاجية، ويربط الحجّة (الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وبالإنفاق) بالنتيجة (الأجر الكبير)، هو مبدأ أو معتقد متعارف عليه بين الأفراد، يقتضي أنّ العمل والعبادة يقابلهما أجر عظيم.

<sup>1</sup> ترجمة الرّاضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، 193.

<sup>2</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 31.

<sup>3</sup> سورة الحديد، آية 7.

أما الآيات التي سترد في فصول الدراسة، فسيحكمها مبدآن، الأول يتعلق بآيات الرحمة التي سترس وهو: العمل الصالح والطاعة والتقوى، كلها، يقتضي الرحمة والثواب الجزيل. والثاني يختص بآيات العذاب مفاده أن الظلم والكفر والطغيان، جميعها، تستوجب العقاب والحساب.

### الأصواتية (التعدد الصوتي)

من جملة التقليديات التي عارضها (ديكرو) و(أنسكومبر) الزعم بوحدة الذات المتكلمة، حيث لا لافظ للملفوظ سوى واحد. يعارض الباحثان ذلك الزعم لصالح القول بـ(الأصواتية)، أو التعدد الصوتي في الملفوظ الواحد؛ وهو اتجاه في التحليل يعدّ الملفوظ فيه" حاصل عدّة أصوات أو جهات نظر"<sup>1</sup>، وليست هذه الفرضية جديدة، إذ سبق إليها الأديب واللساني الروسي (باختين) في دراسته للأدب الشعبي، فالنص في رأيه - إنما هو تأليف لكثرة من الأصوات تصدر عنه في آن واحد، كل صوت منها يعبر عن نفسه وقناعاته، وإن كان (باختين) قد وجّه عنايته للملفوظات الأدبية، فإنّ (ديكرو) سيلتفت إلى الملفوظات عمومًا؛ ليؤسس لأصواتية لسانية جديدة تميّز بين المتكلمين والمتلفظين، يدحض بها التصور الصوتي التقليدي بوحداية الذات الناطقة أو المتكلمة.<sup>2</sup>

يتميز (ديكرو) في إطار فرضيته الأصواتية بين مستويات ثلاثة: المتكلم، والناطق الواقعي أو الذات الناطقة، والمتلفظ.<sup>3</sup>

أما المتكلم فهو الشخص الذي يتحمل مسؤولية الملفوظ؛ حيث إليه تحيل العلامات اللسانية من ضمائر وغيرها وإليه تنسب الأفعال الإنجازية، وأما الناطق الواقعي فهو المنتج الفيزيائي أو الواقعي للملفوظ، فالمتكلم متمايز من الناطق الواقعي، وإن ظهر بعض التطابق بينهما في

<sup>1</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 94.

<sup>2</sup> ينظر: الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، 146-150.

<sup>3</sup> راجع بهذا الخصوص: الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 158-170، ختام، جواد، التداولية اتجاهاتها وأصولها، ص 138-139.

الخطابات الشفوية. ولتوضيح ذلك التمايز آتي بقوله -تعالى-: "قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلبا من رحم"<sup>1</sup>

إنّ الناطق الفعلي للنص هو الله جلّ جلاله، فالقرآن كلام الله، إلبا أنّ المتكلم الذي تحيل إليه العلامات اللسانية، فيصير في حكم صاحب الملفوظ، ويتحمل مسؤوليته، هو نوح (عليه السلام) في حوار مع ابنه.

ومن الممكن أن يكون للملفوظ غير متكلم، فقد يتضمّن الملفوظ غير علامة لسانية تحيل على ذوات متكلّمة متمايزة، ولناخذ مثلاً الآية الآتية:

قال -تعالى-: "قل أوحى إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا"<sup>2</sup>

يتضمّن الملفوظ السابق ضميرين، أحدهما ضمير المخاطب في (قل)، والآخر ضمير الغائب في (فقالوا)، يتماهى ضمير المخاطب مع المتكلم الأول وهو محمد (عليه الصلاة والسلام)، ويتماهى الآخر مع المتكلم الثاني وهم نفرٌ من الجنّ، وبهذا يكون للملفوظ متكلّمان.

وأما المتلفظون فيعرفهم (ديكرو) بأنهم "الأشخاص الذين يفترض أنهم يعبرون عن ذواتهم داخل الفاعلية التلّفظية دون أن يكون ذلك من خلال الكلام الصريح والمباشر، فكلامهم هو ممّا يوحى به التلّفظ..."<sup>3</sup>، فالملفوظ تجمّع لعددٍ من وجهات النظر الداخلة في الفاعلية التلّفظية للمتكلّم، ولكلّ وجهة نظر متلفظها الخاصّ بها، الذي يتحمل مسؤوليتها عن المتكلم.

ولننظر في قوله -تعالى-: "إنّه لا يحبّ المعتدين"<sup>4</sup>

نجد أنّ الملفوظ يُدرج وجهة نظر يتبناها المتكلم وهي: (إنّه لا يحبّ المعتدين)، وهناك وجهة نظر أخرى يتضمّنها الملفوظ، وهي لصوتٍ غير صوت المتكلم، بل جاء صوت المتكلم ليعارضها، وهي الادّعاء بأنّ الله يحبّ المعتدين.

<sup>1</sup> سورة هود، آية 43.

<sup>2</sup> سورة الجن، آية 1.

<sup>3</sup> الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 169.

<sup>4</sup> سورة الأعراف، آية 55.



وبهذا يكون في الملفوظ وجهتا نظر، وجهة نظر المتكلم، ووجهة نظر متلفظ آخر غيره.

بعد أن انتهينا من توضيح مشروع (ديكرو) (وأنسكومير) في التداولية يمكننا أن نلخصه في الآتي:

- الطعن في التحليل الخطي للملفوظات، من أجل العمل على تأسيس تداولية بديلة تدمج الظواهر التداولية في تحليلاتها، على رأسها الحجاج.
- الحجاج هو الوظيفة الأساسية للغة، والتواصل وظيفة ثانوية.
- الحجاج كامن في اللغة، فهو جزء لا يتجزأ منها، وليس متممًا لها.
- تشييد الإطار النظري والمنهجي للحجاج في اللغة من خلال بلورة جملة من المفاهيم الإجرائية كالتسليم الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والروابط الحجاجية، والمواضع...
- دحض وحدانية الذات المتكلمة، والقول بالتعددية الصوتية للملفوظات.

### حجاجية القرآن الكريم عامة، وحجاجية الرحمة والعذاب خاصة

حدّد (بنفنيست) الخطاب بأنه " كلّ قول يفترض متكلمًا وسامعًا، مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع"<sup>1</sup>، وبناءً على ذلك، لا يُشكّ أن القرآن الكريم خطاب؛ إذ إنّ للقرآن غايةً تأثيريةً إقناعيةً، كما أنّه صادر من متكلم (الله سبحانه) إلى مخاطبين كثير، منهم من أفصح عنهم القرآن (المؤمنون، الكافرون، الرّسول، الناس...) ومنهم من اكتفى بذكرهم ضميرًا من غير تحديد.

ويعدّ الخطاب القرآني خطابًا حجاجيًا بالدرجة الأولى، يستدلّ على ذلك من القرآن نفسه، إذ فيه من الحوارات والجدالات والحجاجات (حوار الله مع إبليس، حوارات الأنبياء مع أقوامهم، حجاج إبراهيم مع الرجل الذي حاجّه في ربّه، أقوال الكفار والرّد عليها...) وهي حجاجات يختلف

<sup>1</sup> هو تعريف بنفنيست للخطاب، ينقله: مفلح، عبد الله، آليات الحجاج في الخطاب القرآني \_ الاستفهام أنموذجًا، ص5.

أطرافها في الرأى والمعتقد ما يثبت طبيعته الحجاجية وغايته الإقناعية، كما أن القرآن نزل إلى البشر على أنه "تغيير" لوضع، وحلّ لمعضلة، ونبذ للعنف الذي هو عكس الحجاج<sup>1</sup>، يلمح ذلكم في قول القرآن في آيات كثيرة (لعلكم تعقلون، لعلكم تتقون، لعلكم تذكرون...)، وهذا التغيير غاية الحجاج ومنتهاه، ويمكن كذلك عدّ الدعوة القرآنية الصريحة إلى عدم الإكراه في الدين دليلاً على تلكم الحجاجية؛ حيث يعدّ عدم الإكراه من أهمّ خصائص الحجاج.

وتأسيساً على ما سبق، يكون النصّ القرآني نصّاً حجاجياً بامتياز، وعن حجاجيته يقول عبد الله صولة: "لقد توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطاباً حجاجياً، وما جعل الحجاج يصيب كثيراً من العناصر اللغوية فيه مثل الكلمات والتراكيب والصّور، وهي تتكرّر فيه تكراراً جعل منها خصائص أسلوبه المميّز".<sup>2</sup>

وما دامت حجاجية الخطاب القرآني أمراً مسلماً به، فذلكم يعني أنّ الأساليب المتنوّعة التي سلكها القرآن في دعوته إلى التغيير ستكون هي أيضاً حجاجاً، ولعلّ أسلوب التذكير برحمة الله وعذابه - امتثالاً لأوامره واجتناباً لنواهيه؛ بغية نيل تلك الرحمة، واتقاء ذلك العذاب - الذي يحفل القرآن به من أهمّ تلكم الأساليب وأنجعها في التأثير والإقناع، أي في حجاجيته، يرتدّ ذلكم إلى أنّ خطاب الترغيب برحمة الله والترهيب من عذابه ليس خطاباً موجّهاً إلى العقل فقط، وإنّما هو خطاب يناشد الرّوح ويحاكي العاطفة لينفذ إلى النفس محدثاً تأثيره، و"لما كان الإنسان مجبولاً على حبّ ما ينفعه، وتقرّ به عينه، وتطمئنّ به نفسه، وينفر من كلّ ما يخيفه ويفزعه، كان للترغيب والترهيب أهمية قصوى في حمل المخاطب المعنيّ على التزام الطاعات واجتناب المعاصي والمنهيات"<sup>3</sup>، ولا ريب أنّ خطاب الرحمة والعذاب جزء من خطاب الترغيب والترهيب؛ إذ ليس خطاب الرحمة إلّا ترغيباً بها، وليس خطاب العذاب إلّا ترهيباً منه، وإنّ الطبيعة البشرية تحتاج دائماً إلى ما يذكرها بالخير، ويحثّها عليه ويرغبها بفضائله، لتفوز

<sup>1</sup> صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ص 41.

<sup>2</sup> السابق، ص 40.

<sup>3</sup> العشراوي، عبد الجليل، آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، ط 1، 2016، ص 27.

بالرَّحمة، ويرهبها من الشرِّ وعواقبه، لتتجو من العذاب؛ وبذلك يكون ذا الأسلوب، بترغييه بالرَّحمة وترهيبه من العذاب، ملائمًا لتلك الطبيعة.

## الرَّحمة والعذاب في القرآن

ليس خطاب الرَّحمة والعذاب بأسلوبٍ عابرٍ في القرآن؛ إذ إنَّ درجة تواتره فيه كبيرة، بل يمكن أن ننظر إلى أي القرآن كلها على أنها آيات رحمة أو عذاب، فالأمر لا يقتصر على المرّات التي ذُكرت فيها اللفظتان صراحةً حسب، على كثرتها، إنّما يتعلّق بما تنطوي عليه الآيات ممّا يوحي برحمةٍ أو عذاب، كما أنّهما صفتان من صفات الله -جلّ وعلا-، وصف الله بهما نفسه؛ حيث قال: { نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50) }<sup>1</sup>، وقال: { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ<sup>2</sup> وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21) }<sup>2</sup>...

وبخصوص الرَّحمة، فمنها أُشتقَّ اسمان عظيمان من أسماء الله -جلّ وعلا- وهما الرَّحمن والرَّحيم، اللذان ذكرا غير مرّة في القرآن، كما أنّ مظاهرها في القرآن كثيرة؛ بدءًا من خلق الإنسان، وتمييزه بالعقل، وتعليمه، كما قال -تعالى-: { الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) }<sup>3</sup>، وصولًا إلى تسخير السّماء والأرض وما عليهما له، قال -تعالى-: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ<sup>4</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }<sup>4</sup> وإنزال الكتب والرّسل لهدايته وعصمته، بل إنّ التشريع وفرض الأحكام رحمة من الله بعباده؛ لحماية حقوقهم، فقد قال -تعالى-: { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ }<sup>5</sup>، وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ

<sup>1</sup> سورة الحجر، الآيتان 49-50.

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، آية 21.

<sup>3</sup> سورة الرحمن، آية 1-3.

<sup>4</sup> سورة الجاثية، آية 13

<sup>5</sup> سورة الجاثية، آية 20.

ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>1</sup> كما يمكن عدّ قصص القرآن رحمة من رحمة الله بعباده يأخذون منها العبرات والعظات.

تلكم بعض مظاهر الرّحمة في الدّنيا، حتّى إذا انتهى الأمر بالمخلوقات في الآخرة وُجدت قمة الرّحمة من مغفرة وجنة وثواب.

وفيما يتعلّق بالعذاب في القرآن فمناه ذكر عذابي الدّنيا والآخرة، وهما صنفان جمعا كلّ العذاب، فإن كان عذاب الدّنيا مؤقتاً، فإنّ عذاب الآخرة خالد، وقد حفل القرآن بتصوير هذين العذابين بمشاهد حسّية ومعنويّة؛ وذكر صنوف العذاب التي وقعت بالأمم السّابقة، والتي ستحلّ بالمجرمين المكذّبين، وهي مشاهد تُنفّر النفوس، وتُشعر الأبدان.

والقرآن كلّ رحمة بالمؤمنين؛ إذ هو دليلهم إلى الخير والجنّات، كما أنّه حجّة على من كذّب وكفر تسوقه إلى عذاب النّار.

---

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 178.

## الفصلُ الثَّاني

الرّوابطُ والعواملُ الحجاجيّة  
في آياتِ الرّحمةِ والعذابِ

## الفصلُ الثاني

### الرّوابطُ والعواملُ الحجاجيّةُ في آياتِ الرّحمةِ والعذابِ

إن كان الحجاجُ يعني الانتقالَ أو -بمعنى أدقّ- التّوجيهَ من قولٍ حجّةٍ إلى آخرٍ، هو نتيجةٌ لازمةٌ عنه، وكان هذا الحجاجُ متموضّعاً في اللّغةِ نفسها، معتمداً على مكوّناتها ووسائلها اللّغويّة، فلا بدّ، إذن، من معرفة تلكم المكوّناتِ اللّغويّة، ومعرفة آليّة اشتغالها وتحكّمها في التّوجيه الحجاجيِّ لصالح نتيجةٍ يريدُها الخطابُ ولا غير.

#### أولاً: الرّوابطُ الحجاجيّةُ

تشكّل الرّوابطُ الحجاجيّةُ أحدَ أهمّ المكوّناتِ البنيويّةِ اللّغويّةِ التي تحقّق الوظيفةَ الحجاجيّةَ المتمثّلةَ بتوجيه الأقوالِ وجهتها الصّحيحةَ في الخطاب؛ وذلك عن طريق إيمانها بالإرشادات (المعلومات) التي "تحدّد طبيعة الفعل الحجاجيِّ الذي يُجزه المتكلم<sup>1</sup>"، وهي أساسيّةٌ في تأويل الخطاباتِ وفهمها، إلى الحدِّ الذي دفع موشلار وريبول إلى الإقرار بصعوبة التّأويل دونها؛ فقد ذهبوا إلى أنّه "لا يمكن التّأويل من دونها... ولكن يمكن، بحسب المعلومات المتوافرة والمدرّكة، أن تتطلّب عملية الفهم جهداً أكبرَ وتكون أشدَّ عسراً...<sup>2</sup>".

وما هذه الرّوابطُ إلّا مجموعةُ العناصرِ أو العلاماتِ النّحويّةِ التي تربط بين الأقوال في العربيّة مثل "أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...)"<sup>3</sup>، فهي تصرّيفاتٌ تصل بين الملفوظات - سواء أكانت حججاً أم حججاً ونتائج - داخل استراتيجيّة حجاجيّة واحدة. وتقوم هذه العناصرُ في الخطاب إضافةً إلى وظيفتها الحجاجيّة بدورٍ مهمّ، فهي تحقّق له الاتّساقَ والانسجامَ، كما تضمّن التّرابطُ بين أجزاءه، يقول العزاوي: "للتّركيبِ أدواتٌ تضمّن تلاحمَ أجزاء النّصِّ وترابطَ عناصره واتّصالَ بعضه ببعض، من أهمّها الرّوابط<sup>4</sup>"، وفي العربيّة عددٌ كبيرٌ من الرّوابطِ

<sup>1</sup> الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 104.

<sup>2</sup> ريبول، آن، وموشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، 173.

<sup>3</sup> المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ص 376.

<sup>4</sup> العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2010،

الحجاجية التي لا يمكن معرفة معانيها دون الإحالة إلى قيمها الحجاجية؛ إذ لكل منها قيمته ودوره في استراتيجية الإقناع.<sup>1</sup>

وتصنف الروابط الحجاجية إلى أصناف عديدة حسب معايير مختلفة، على النحو الآتي:<sup>2</sup>

1. الروابط المدرجة للحجج، من أمثلتها: لكن، بل، لأن...، والروابط المدرجة للنتائج، مثل: إذن، بالتالي...

2. الروابط التي تدرج حججاً قوية (لكن، حتى، لا سيما...) والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة، نحو: حروف العطف (الفاء، والواو،...)

3. روابط التساوق (المساندة) الحجاجي، منها: حتى، الواو...، وروابط التعارض (المعاندة) الحجاجي، منها: لكن، بل، مع ذلك...

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا، أن الرابط الواحد قد يتعدّد تصنيفه بناء على إمكانات الدلالة في اللغة، فيكون الرابط (لكن) على سبيل المثال رابطاً مدرجاً للحجج القوية والمعارضة.

### الروابط الحجاجية في آيات الرّحمة

#### • الرابط الحجاجي واو العطف

تصنّف واو العطف واحدة من الروابط التي تدرج حججاً متساوقة، تسير في اتجاه حجاجي واحد، وقد أشار جمهور النحاة على إفادتها "مطلق الجمع"<sup>3</sup>، ومنهم من قال إنها تفيد "الترتيب"<sup>4</sup>؛ إذ لا يقتصر دورها على الجمع بين الحجج بل ترتبها -أيضاً- لتقويّ الحجج وتدعمه، وتنسجها

<sup>1</sup> انظر: رزيق، بالقاسم، وفريجات، عبد الرزاق، توظيف الروابط الحجاجية في القرآن الكريم - نماذج قرآنية مختارة - أطروحة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، 2016-2017، ص 30.

<sup>2</sup> انظر: الراضي، رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، ص 105\_106، والعزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 30.

<sup>3</sup> ابن هشام، أبو محمد عبد الله الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت، الجزء الثاني، ص 354.

<sup>4</sup> المرادي، حسن بن قاسم، الجنى الداني، ت: فخر الين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د ط، د ت، ص 158.

في خطابٍ منسجمٍ متكامل، تقوي كلُّ حجةٍ فيه الحججَ الأخرى المصاحبةَ لها، وتعمل على الربط النسقيّ أفقيًّا<sup>1</sup>، لتتسلسل الحججُ بطريقةٍ تدريجيةٍ تجعل المخاطبَ يفهم مقصدَ الخطاب، وتزيد في إقناعه مع كلِّ حجةٍ إضافيةٍ.<sup>2</sup>

جاء في القرآن من هذه الواو ما لا يعدّ ولا يحصى، ولا تحيط به دراسة، إن في آياته عامّة، وإن في آيات الرّحمة والعذاب خاصّة، جاءت تجمع بين الحجج حيناً، وبين النتائج حيناً آخر؛ ولكثرة أمثلتها في القرآن سأكتفي بذكر بعض النماذج، ومما جاء منها في آيات الرّحمة قوله - تعالى:- {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}<sup>3</sup>، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ (13)}<sup>4</sup>، وقوله في سورة النساء: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}<sup>5</sup>، ومنها ما جاء في سورة النحل في قوله: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً<sup>6</sup> وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}<sup>6</sup>، ومنها في التوبة قوله: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ

<sup>1</sup> انظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص 472.

<sup>2</sup> انظر: رزيق، بالقاسم، وفريجات، عبد الرزاق، توظيف الروابط الحجاجية في القرآن الكريم - نماذج قرآنية مختارة - ص 46.

<sup>3</sup> سورة الأنفال، الآيات 2-4.

<sup>4</sup> سورة الصف، الآيات 10-13.

<sup>5</sup> سورة النساء، آية 175.

<sup>6</sup> سورة النحل، آية 97.



مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (21) {1}، وفي الزمر قوله: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)} {2}، وقوله في سورة التحريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...} {3}، ومن سورة القصص قوله -تعالى-: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {4} وغيرها الكثير... {5}

وسأقتصر في تحليلي لواو العطف في آيات الرِّحمة على بعض الأمثلة اخترت منها:

• قوله -تعالى-: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} {6}

تُعَلِّمُ هَذِهِ الْآيَةُ بَوَاعِثَ الدَّعَاءِ، أَوْ أَعْرَاضَهُ، وَهُمَا: الْخَوْفُ، وَالطَّمَعُ، أَيِ الْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَالطَّمَعِ فِي مَغْفِرَتِهِ وَثَوَابِهِ. {7} وقد جاء الرِّابِطُ (الواو) لِيَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، وَيَقْسِمَهُمَا إِلَى قَسْمَيْنِ، أَوْ غَرَضَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا؛ إِذْ " شَمَلَ الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ جَمِيعَ مَا تَتَعَلَّقُ بِهِ أَعْرَاضُ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ رَبِّهِمْ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ، لِيَدْعُوا اللَّهَ بِأَنْ يَبْسِرَ لَهُمْ أَسْبَابَ حُصُولِ مَا يَطْمَعُونَ، وَأَنْ يَجَنِّبَهُمْ أَسْبَابَ حُصُولِ مَا يَخَافُونَ" {8}، فَالْوَاوُ هُنَا جَاءَتْ "لِلنَّقْصِ" {9} وَالْجَمْعُ، حَيْثُ جَمَعَتْ بَيْنَ عِنَصَرَيْنِ دَلَالِيَيْنِ (حَجَّتَيْنِ)، يَقُودُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى نَتِيجَةٍ مُضْمَرَةٍ، وَيَقُودَانِ مَعًا إِلَى نَتِيجَةٍ عَامَّةٍ مَذْكُورَةٍ فِي الْآيَةِ.

أَمَّا الْحِجَّةُ الْأُولَى فَنَقْدَرُ عَلَى نَحْوِ: "ادعوه خوفاً"، وهي حجةٌ تتَّجِهُ فِي الْخُطَابِ نَحْوَ نَتِيجَةٍ لِأَزْمَةٍ عَنْهَا مِنْ قَبِيلِ: "اجتنبوا ما نهى عنه الله" فالخوف من عقابه سبحانه يقتضي اجتناب المنهيات،

<sup>1</sup> سورة التوبة، آية 20-21.

<sup>2</sup> سورة الزمر، آية 61.

<sup>3</sup> سورة التحريم، آية 8.

<sup>4</sup> سورة القصص، آية 73.

<sup>5</sup> مثلاً: الحجر 45-45، الفتح 29/5، الحجرات 3، الواقعة 88-89، القمر 54، آل عمران 157...

<sup>6</sup> سورة الأعراف، من آية 56.

<sup>7</sup> انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، الجزء 8، ص 135.

<sup>8</sup> السابق.

<sup>9</sup> السابق.

ولمزيد من الإيضاح، يمكن صياغةُ ذا الخطاب الحجاجي بهذا الشكل " إن كنتم تخافون الله، فاجتنبوا نواهيه".

وأما الحجة الأخرى فتمثّل في قوله " طمعاً"؛ والطمع في المغفرة والثواب من الرّب سبحانه، يقتضي امتثال أوامره، وبهذا، تكون هذه الحجة قد سارت نحو وجهة نتيجة واحدة ناتجة عنها وهي "الامتثال لأوامر الله"؛ فهو السبيل لنيل المغفرة والأجر.

ونجمع بين الحجة ونتيجتها ونصوغها في هذه العبارة: "إن كنتم تطمعون بالمغفرة والثواب من الله، فامتثلوا أوامره".

وإن نُظر في الخطاب الحجاجي في الآية كلّها، فسيلقى أنّ النّتيجتين السّابقتين ما هما إلّا نتيجتان فرعيّتان، تشكّل كلّ واحدةٍ منهما دورها حجةً لصالح نتيجة عامّة يقود إليها الخطاب القرآني في الآية؛ حيث اختتمت الآية بقوله -تعالى-: "إنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين"، هذه الرّحمة هي غاية الخطاب، والملاحظ أنّها -هنا- لم تكن شاملةً العباد أجمعين، بل خصّصت لفريق منهم، هم المحسنون، ومن المعلوم أنّ المحسن لا يكون محسناً إن لم يجتنب المنهيات ويمتثل الأوامر، إذن، لا بدّ من اجتناب المنهيات (الحجة الأولى)، وامتثال الأوامر (الحجة الثانية)؛ للوصول إلى هذه الرّحمة (نتيجة الخطاب).

ويمكن صياغة الخطاب الحجاجي للآية على النحو التالي:

"إن كنتم تخافون الله فاجتنبوا نواهيه، وإن كنتم تطمعون في مغفرته فامتثلوا أوامره، ثمّ ستفوزون برحمته".

وبهذا تكون الواوُ رابطاً حجاجياً، رتب الحجج، وجمع بينها، كما أدّى دوراً في تحقيق الانسجام للخطاب القرآني وتكامله.

• وقوله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} <sup>1</sup>

المَجِيءُ بِالآيَةِ هو القرآن الكريم، وقد جاءت الواو هنا لتجمع بين صفات هذا القرآن، وهي: أنه موعظةٌ، وشفاءٌ لما في الصدور، وهدى للمؤمن، ورحمة له. هذه الصفات للقرآن هي "أصول كماله وخصائصه" <sup>2</sup>، ف"الموعظة: الوعظ، وهو كلام فيه نصح وتحذير مما يضر... ووصفها بـ "من ربكم" للتببيه إلى أنها بالغة غاية كمال أمثالها. والشفاء حقيقته: زوال المرض والألم، ومجازه زوال النقائص والضلالات وما فيه حرج على النفس، وهذا هو المراد هنا. والمراد بالصدور النفوس كما هو شائع في الاستعمال. والهدى: ... وأصله: الدالة على الطريق الموصل إلى المقصود. ومجازه بيان وسائل الحصول على المنافع الحقّة... <sup>3</sup> و"رحمة أي نعمة" <sup>4</sup>.

وتلك صفات أربع شملت أصول القرآن وخصائصه كافةً، جاءت مجتمعةً ومرتبّةً ترتيباً نسقيّاً بواسطة الواو؛ لتكون حججاً تصل بالمخاطبين إلى الاقتناع بالنتائج المُرادّة من الخطاب الحجاجي للآية، وقد تدرّجت الواو بالحجج من الأدنى إلى الأعلى لتبلغ غاية الإقناع؛ فكان كونه موعظةً تزرهم عن فعل المعاصي والمنكرات، وتحثهم على تركها حجةً أولى، تسير بالخطاب نحو نتيجته التي يتغيهاها، ثم جاءت الحجة الثانية وهي وصف القرآن بأنه شفاء لما في النفوس؛ حيث الرّيبة والنفاق والاختلاف، فيكون القرآن علاجاً لهذه النفوس المضطربة وسكناً لها؛ لتزيد في درجة الإقناعيّة الخطابية التي ترمي إلى الوصول بالمخاطبين إلى التصديق بالقرآن العظيم، الذي هو تنزيلٌ من ربّ العالمين، والإيمان به، ثم تأتي الحجّتان الأخيرتان لتبيّنا نصيباً من يصدّق بهذا القرآن ويؤمن به، حيث سيناله هديّه، ويُختصّ بالرحمة التي اختصّ بها المؤمنون، فقد علّقت الآية لفظتي (هدى، ورحمة) بقيد المؤمنين <sup>5</sup>، لتكشف أنّ الهدى والرحمة لا يفوز بهما

<sup>1</sup> سورة يونس، آية 57.

<sup>2</sup> ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، جزء 11، ص 109.

<sup>3</sup> السابق.

<sup>4</sup> القرطبي، أبو عبد الله، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)، تح: عبد الله التركي مع محمد عرقوسي وغيث الحاج حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1427/2006، ج 11، ص 10.

<sup>5</sup> انظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، جزء 11، ص 110.

إلّا من صدّق وآمن، وهذا يزيد من الفاعليّة الحجاجيّة للخطاب؛ حيث تغري المخاطبَ فيخضع  
لسلطة الخطاب؛ طمعاً في الوصول إلى هذا الاختصاص المقتصر على المؤمنين.

ومزيداً في إبرازِ الاستراتيجية الحجاجيّة في الخطاب القرآنيّ السابق، ودورِ الواو في ترتيب  
الحجج وربطها بالنتيجة سأصوغها على هذا النحو:

القرآنُ موعظةٌ، وهو شفاءٌ للنفوس، وهدى ورحمةٌ للمؤمن، فصدّق به وآمن.

• وقوله -تعالى-: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}<sup>1</sup>

تُرغِبُ الآيةُ المخاطَبينَ (المؤمنين) بالرحمة، وتكشف لهم عن الطّريق المُوصِلِ إليها، وقد جعلت  
للرحمة طريقيْن يُكْمِلُ أحدهما الآخرَ، هما طاعة الله سبحانه، وطاعة رسوله (عليه الصّلاة  
والسّلام)، وجاءت الواو لتجمع بين هذين الطّريقين (الحجّتين) المؤدّيين للغاية نفسها (النتيجة)،  
وهي نيل الرحمة؛ إذ يُقصد بالخطاب: أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول؛ لكي ترحموا.

حيث: "أطيعوا الله" الحجّة الأولى، و"أطيعوا الرّسول" الحجّة الثانية، و"لكي ترحموا" النتيجة.

### الرّابط الحجاجيّ الفاء

يسمح هذا الرّابط للحجج بالانتقال إلى نتائجها، حيث يقوم بربط الأسباب بالنتائج، وهو يقوم على  
حصر المعنى وتحديد الفكرة، فيسمح بإقامة علاقة حجاجيّة تقوم على التّتابع، وهي ضروريّة  
لتوالد النّصّ وانسجامه؛ إذ تربط بين الأحداث وترتّبها حتى تجعل الفعل الحجاجيّ مقنعاً  
للمخاطب، وتوجّهه نحو نتيجةٍ أو غايةٍ مخصوصة. كما تعمل الفاء على سوق الحجج المتساندة  
وترتيبها؛ الأمر الذي يقوّي الحجج ويدعمه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> سورة آل عمران، آية 132.

<sup>2</sup> ينظر: صغيور، ابتسام، دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي دراسة تطبيقية في سورة الأعراف، دراسة  
منشورة: <http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/>

13876/%D8%AF%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8  
D8%AD%D8%AC%D8%A7%D8%AC%D9%8A%D8%A8%D8%B7%D8%A7%D9%84%  
D8%B1%D9%87%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9%D9%88%D8%A3%D8%AB%  
A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B3%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%A7  
sequence=1&isAllowed=y%D9%84%D9%86%D8%B5%D9%8A.pdf?

وفي النحو، تعدت أنواع الفاء ومعانيها، فمنها الفاء العاطفة التي تفيد الترتيب، أو التعقيب، أو السببية، ومنها الفاء التي تكون جوابًا للشرط...<sup>1</sup>

والفاء كالواو في وفرة توظيفها في الخطاب القرآني، بما فيه خطاب الرحمة والعذاب، فمن توظيفها في خطاب الرحمة قوله -تعالى- في آل عمران: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾}،<sup>2</sup> و: {بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾}،<sup>3</sup> وقوله -تعالى- في سورة البقرة: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ...}،<sup>4</sup> وقوله -تعالى-: {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَعَلِيَ الْجَنَّةِ الْخَالِدِينَ فِيهَا...}،<sup>5</sup> وقوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾}،<sup>6</sup> وقوله في سورة النساء: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ}،<sup>7</sup> وفي سورة الأنعام قوله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا}،<sup>8</sup> وقوله: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾}،<sup>9</sup> ... وأمثلة الفاء كثيرة<sup>10</sup>، لا تخفى على من تأملها.

<sup>1</sup> ينظر: ابن هشام، عبد الله، مغني اللبيب، ج1، ص 161-165.

<sup>2</sup> سورة آل عمران، آية 31.

<sup>3</sup> سورة آل عمران، آية 76.

<sup>4</sup> سورة البقرة، آية 284.

<sup>5</sup> سورة هود، آية 108.

<sup>6</sup> سورة طه، آية 112.

<sup>7</sup> سورة النساء، آية 124.

<sup>8</sup> سورة الأنعام، آية 160.

<sup>9</sup> سورة الأنعام، آية 54.

<sup>10</sup> منها: النحل 65، الواقعة 89، الحديد 7، الفرقان 70، البقرة 173...

وسأقتصر على تحليل الآتي منها:

• قال -تعالى-: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}<sup>1</sup>

أولئك الذين لم يبدلوا دينهم، وشهدوا أن لا إله إلا الله، ولم يشركوا معه غيره في الألوهية، سيُجازون برحمة الله يوم يُبعثون، ورحمته هنا هي جنّته ونعيمها، حيث النّعيم الدائم الذي لا يزول.<sup>2</sup>

يُلاحظ في هذه الآية أن الفاء قد ربطت بين متغيّرين حجاجيين، هما حجّة ونتيجة، حيث كان قوله -تعالى- " في رحمة الله هم فيها خالدون " جواباً للشّرط الذي سبقه في قوله " أمّا الذين ابْيَضَّتْ وجوههم"، وجاءت الفاء هنا رابطاً سببياً تتابعياً ربط الشّرط (الحجّة) بجوابه (النتيجة).

ويمكن التمثيل لهذه البنية الحجاجية السببية بالمخطط الحجاجي الآتي:

ن (في رحمة الله هم فيها خالدون)

الفاء (رابط حجاجي)

ح (أمّا الذين ابْيَضَّتْ وجوههم)

شكل (3): مخطط يُظهر دور الفاء في البنية الحجاجية للآية (107) من آل عمران.

• قال -تعالى-: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا}<sup>3</sup>

يحدّد -المولى سبحانه- شَرَطَيْنِ للوصول إلى رحمة الله (جنّته)، وفضله، والهداية إلى صراطه المستقيم، هما: الإيمان بالله، والاعتصام به، ويُقصد من الاعتصام بالله التوكّل عليه في الأمور جميعها<sup>4</sup>، أو اللوذ بدينه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة آل عمران، آية 107.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، تح: بشار معروف وعصام الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414-19، ج2، ص 301.

<sup>3</sup> سورة النساء، آية 175.

<sup>4</sup> ينظر: ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419-1998، الجزء الثاني، 428.

<sup>5</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 4، ص 340.

إنّ الرّابطة الحجاجيّة الّذي ربط بين الحجّتين ونتائجهما في ذي الآية، أي وصل الشّرتين بجوابهما هو الفاء؛ حيث جاء (سيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) جواباً للشّرتين (الحجّتين) في قوله (أمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به)، والفاء ربطت بينهما (الحجّتين والنتائج).

ولا يمكن إغفال دور الواو هنا؛ إذ شكّلت رابطاً جمع بين الحجّتين من ناحية، وبين النتائج فيما بينها من ناحية أخرى.

وبجسد ما سبق بهذا النحو:

ن (سيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً)

الفاء (رابط حجاجي)

ح1، ح2 (أمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به)

شكل(4): مخطط يظهر دور الفاء في البنية الحجاجية للآية(175) من سورة النساء

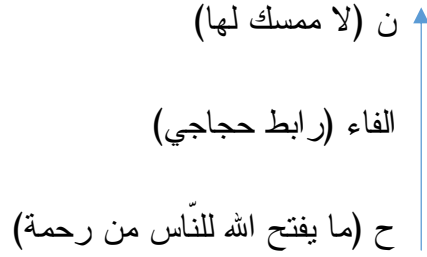
• قال -تعالى-: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} <sup>1</sup>

إنّ الرّحمة والعطاء بيد الله، وهو وحده سبحانه من يملك أن يعطيَ أو يمنع، فمتى أراد الله أن يفتح خزائن رحمته لعباده، فلن يستطيع أحدٌ إبطالها.

وقد جاءت الفاء هنا رابطاً للجواب بشرطه؛ إذ إنّ قوله " ما يفتح الله للنّاس من رحمة" يعدّ شرطاً (حجّة) لا بدّ له من جواب، غير أنّ وصول الشّروط لجوابه لن يكون بغير رابط؛ لذلك، جاءت الفاء لتربط الشّروط بجوابه؛ وتسهّل وصوله إليه، فوقعت قبل قوله " لا ممسك لها" الّذي يشكّل جواباً (نتيجة) للشّروط.

<sup>1</sup> سورة فاطر، آية 2.

ويعبر عن البنية الحجاجية في الآية، كما يلي:



شكل (5): مخطط يظهر دور الفاء في النية الحجاجية للآية (2) من سورة فاطر

### الرّابطة الحجاجيّة إنّ

يفيد ذا الرّابطة في العربيّة " التّأكيد"<sup>1</sup>، وهو كذلك في الخطابات الحجاجيّة عموماً؛ إذ يوتى به لإثبات حجّة من الحجج، أو رأي من الآراء، وتأكيدهما، أو لدعم نتيجة من النتائج؛ حيث يضيف على معناه الخبريّ معنى التّوكيد فيزيد من أثر المعنى في نفس المتلقّي، ممّا يدفعه إلى الاقتناع بالرّأي أو الوجهة التي يرمي إليها الخطاب.<sup>2</sup>

ويقول صولة عن عناصر التّوكيد التي تدخل على الجملة إنّها تمثّل: "شارات حجاجيّة تستدعي الضّمنيّ وتفتح عليه وتومئ إلى النتيجة وتدفع إلى استنتاجها"<sup>3</sup>، وعند إضافتها إلى الإسناد الخبريّ الابتدائيّ، يحصل بفضلها زيادة في المعنى الأصليّ بلاغيّاً ودلاليّاً.<sup>4</sup>

وكغيره من الرّوابط الحجاجيّة، كان لهذا الرّابط مكانه في خطاب الرّحمة والعذاب؛ ليسهم بدور بارز في تحقيق الرّسالة الحجاجيّة، والتّأكيد عليها إنّ في التّرهيب بالرّحمة، وإنّ في التّرهيب من العذاب، وسأكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى بعض الآيات التي وُظف فيها هذا الرّابط في خطاب الرّحمة.

<sup>1</sup> الزجاجي، أبو القاسم، حروف المعاني، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد، ط1، 1404-1984، ص30.

<sup>2</sup> ينظر: زريق، بالقاسم، وفريجات، عبد الرازق، توظيف الروابط الحجاجية في القرآن الكريم، ص 57.

<sup>3</sup> صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 260.

<sup>4</sup> ينظر: السابق، ص 255.



منها قوله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)}<sup>1</sup>، وقوله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}<sup>2</sup>، وقوله: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}<sup>3</sup>، وقوله: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ}<sup>4</sup>، وقوله: {اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ...}<sup>5</sup>، وقوله: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}<sup>6</sup>، وقوله: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}<sup>7</sup>... إلخ<sup>8</sup>

أما ما سأحلله هنا فمنه:

### • قوله -تعالى-: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}<sup>9</sup>

أختلف القول في المقصود من الإيمان في الآية، أهو الصلاة نحو بيت المقدس، أم الصلاة عموماً،<sup>10</sup> ومهما يكن المقصود المخصوص في الآية، فلا شك أن عمومها يبغى الإيمان كله، على تعدد أنماطه، من صلاة وصيام وصدقة...، فمنزله عن الله -عز وجل- أن يضيع أو يبطل فضل أي إيمان خالص قصد به وجهه.

إن الرابطة الحجاجي (إن) في هذا الخطاب، جاء ليربط النتيجة (ما كان الله ليضيع إيمانكم) بحجتها (إن الله بالناس لرؤوف رحيم)؛ حيث ربط النتيجة بسببها؛ معللاً إياها بالإيمان لن يضيع لأن الله سبحانه شديدة الرأفة والرحمة بعباده، مضيفاً معنى التأكيد والإثبات للحجة، فيضاعف من فاعليتها في التأثير بالمخاطب حتى يصل به إلى اليقين والافتناع بنتيجته التي يقصدها.

<sup>1</sup> سورة الكهف، آية 30 ،

<sup>2</sup> سورة الذاريات، آية 15، سورة الحجر، آية 45.

<sup>3</sup> سورة التوبة، آية 22.

<sup>4</sup> سورة الرعد، آية 6.

<sup>5</sup> سورة آل عمران، آية 195.

<sup>6</sup> سورة المائدة، آية 39.

<sup>7</sup> سورة البقرة، آية 199.

<sup>8</sup> منها: الأحزاب 25، المائدة 98، فصلت 8، مريم 96... إلخ

<sup>9</sup> سورة البقرة، آية 143.

<sup>10</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج2، ص 25.

ويمكن تمثيل البنية الحجاجية للخطاب السابق كما يلي:

ح(إنَّ الله بالنَّاسِ لِرؤُوفٍ رَحِيمٍ) (ما كان ليضيع إيمانكم)

شكل (6): مخطط يظهر دور الرابط(إن) في البنية الحجاجية للآية(143) من سورة البقرة

- وقوله -تعالى-: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} <sup>1</sup>

كثرت آيات الوعيد في القرآن كثرةً بلغت بالنفس أشدَّ مبلغٍ من الرعب والخوف، إلى حدِّ يصل بها إلى اليأس من الاعتقاد بإيجاد سبيلٍ للنَّجاة، إلَّا أنَّ رحمة الله واسعة، ولا يأس ما دام سبحانه موجودًا، فجاءت هذه الآية رحمةً من ربِّ العباد، جعلت طريقًا من الاطمئنان والسكينة يمتدُّ إلى نفوسهم، فمهما بلغت الذنوب، فإنَّ بابًا للتوبة مفتوحٌ يقبل الله به عباده.

جاءت هذه الآية خطابًا للمشركين الذين أسرفوا وبالغوا في اقتراف المنكرات والمعاصي أولًا، ثمَّ لأهل المعاصي من المسلمين <sup>2</sup>، وهي كذلك خطابٌ للبشر جميعًا؛ إذ كلُّهم عبادٌ لله، جاءت لتحقيق غايةٍ تترك أثرًا في نفوس المخاطبين من المسرفين، وهي: (نهْيهم عن اليأس من رحمة الله)، ولتقنع المخاطبين بهذه الغاية، وتزيد من ترغيبهم بعدم اليأس من رحمة الله، ساقط حجة تدعمها وتعللها، وهي (إنَّ الله يغفر الذنوب جميعًا)، والملاحظ أنَّ هذه الحجة جاءت مؤكدةً بالرابط (إنَّ) الذي يزيد من درجة الإقناعية في الخطاب، كما عمل على ربط الحجة بنتيجتها التي تقدّمت عليها (لا تقنطوا من رحمة الله) ربطًا تعليليًّا، وجاءت الحجة نفسها معللةً ومدعمةً بحجةٍ أخرى مؤكدةً هي بدورها بالرابط نفسه (إنَّ) ممَّا يقوِّي من أثر الخطاب في نفس متلقِّيه ويدفعه إلى الاقتناع والتسليم، وقد تمثّلت الحجة الثانية في قوله -تعالى-: "إنَّه هو الغفور الرحيم" فلا يعجزه -سبحانه- أن يغفر الذنوب مهما بلغت؛ لأنَّه "شديد الغفران شديد الرحمة" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الزمر، آية 53.

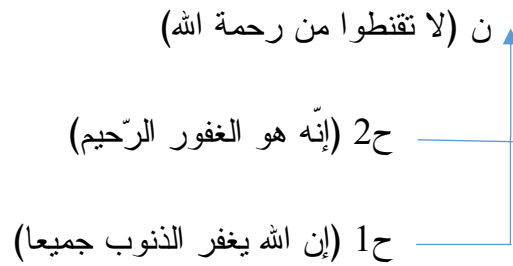
<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 24، ص 112.

<sup>3</sup> السابق، ج نفسه، ص 42.

ومما يمكن الالتفات إليه في هذا الصدد أنّ نتيجة الخطاب تتضمّن في ذاتها نتائج أخرى؛ لأنّ عدم اليأس من رحمة الله، والطّمع في مغفرته، يستوجب التّوبة والإيمان والعمل الصّالح، والدّعوة إلى عدم القنوط من رحمة الله، والترغيب بمغفرة الذّنوب، هو أيضًا دعوة إلى الكفّ عن ارتكاب تلكم الذّنوب، والتّوبة منها، وتركها إلى الأعمال الصّالحة. يقول ابن عاشور: "فدل (يغفر الذّنوب) على أنّ الذّنوب ثابتة، أي المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها، أي يزيل المؤاخذة بها، وهذه المغفرة تقتضي أسبابا أجملت هنا وفصلت في دلائل أخرى من الكتاب والسنة منها قوله - تعالى - {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} <sup>1</sup>، وتلك الدلائل يجمعها أنّ للغفران أسبابًا تطرأ على المذنب ولولا ذلك لكانت المؤاخذة بالذنوب عبثًا ينزّه عنه الحكيم -تعالى-، كيف وقد سماها ذنوبًا وتوعدّ عليها فكان قوله (إنّ الله يغفر الذنوب) دعوة إلى تطلب أسباب هذه المغفرة فإذا طلبها المذنب عرف تفصيلها <sup>2</sup>.

فكأنّ الدّعوة إلى عدم القنوط من رحمة الله، صارت بدورها حجةً تبني علاقةً حاجيةً ثانية في الخطاب وترمي إلى نتيجة مضمونها: تُب إلى الله واعمل صالحًا.

وتُجمل العلاقتين الحاجيتين السابقتين بالشكلين الآتيين:



شكل (7): مخطط يظهر دور (إن) في البنية الحاجية للآية (53) من سورة الزمر

ح (لا تقنط من رحمة الله)      ن (تب إلى الله واعمل صالحًا)

شكل (8): مخطط يبين النتيجة التي تؤديها حجة (لا تقنط من رحمة الله)

<sup>1</sup> القرآن الكريم، طه، آية 82.

<sup>2</sup> ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 24، ص 42.

• وعودة إلى قوله -تعالى-: {وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}<sup>1</sup>

بعد أن بيّنتُ كيف ربطت الواو بين الحجج، وكيف انطوت كلُّ حجة على نتيجة مضمرة، ثمّ كيف أدت النتيجتان المضمرتان إلى النتيجة العامّة وهي الفوز برحمة الله، سأحلّل هذه الآية تحليلًا آخر يكشف عن دور الرّابط (إنّ) فيها.

كشفت الآية عن باعثين لدعاء الله -كما ذكرت سابقًا-، هما: الخوف منه سبحانه، والطّمع بمغفرته، ويمكن عدُّ الحثّ على دعاء الله، على اختلاف بواعثه غايةً خطابيّة، جاء الرّابط (إنّ) ليربطها بسببها، فيشجّع عليها ويزيد من وقعها في نفوس المخاطبين ليُقبلوا عليها؛ فقد ربطت (إنّ) الأمر في الدّعاء، بعلته المتمثّلة ب (أنّ رحمة الله قريبة من المحسنين)، إذن، سيستجيب لهم رحمةً بهم.

وتُتملّ البنية الحجاجيّة هذه بهذا النحو:

ح (إنّ رحمة الله قريبة من المحسنين) ← ن (ادعوه)

شكل (9): مخطط يظهر دور (إنّ) في التوجيه الحجاجي للآية (56) من سورة الأعراف

الرّوابط الحجاجيّة في آيات العذاب

• الرّابط الحجاجيّ واو العطف

سيق التعريف به.

ومما جاء منه في آيات العذاب قوله -تعالى-: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصَلِّي سَعِيرًا (12)}<sup>2</sup>، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10)}<sup>3</sup>، وقوله: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتُهُمْ ۗ وَلَهُمْ

<sup>1</sup> سورة الأعراف، آية 56.

<sup>2</sup> سورة الانشقاق، الآيات 10-12.

<sup>3</sup> سورة البروج، آية 10.

اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52) <sup>1</sup>، وقوله: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} <sup>2</sup>، وقوله: {وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)} <sup>3</sup>... <sup>4</sup>

واخترت من واو العطف في آيات العذاب للتّحليل النّماذج الآتية:

• قال -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} <sup>5</sup>

تحدّث الآية عن المصير الأخرى لأهل الكتاب الذين اشتروا بعهد الله (دينه) ثمنًا قليلًا - فاستخفوا به ونبذوه وراء ظهورهم، وقد سمّي "دينهم بالعهد أو الميثاق... لأن موسى عاهدهم على العمل به" <sup>6</sup> - ونقضوا الأيمان والحلف بينهم وبين المسلمين، وقرّيش <sup>7</sup>، فهؤلاء "لا خلاق لهم في الآخرة" أي لا حظّ من خير الآخرة لهم، ولا يكلمهم الله -جلّ وعلا- ولا ينظر إليهم، وهذا دليلٌ على غضبه عليهم، فـ "لا يكلمهم كلامَ لطفٍ، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة" <sup>8</sup> ولا يزكّيهم من الأدناس والذنوب، ولهم عذاب أليم في نار جهنّم.

ولا ريب أنّ في الآية تحذيرًا ضمنيًا من ارتكاب ما ارتكبه أهل الكتاب، فالخطاب هنا ينطوي على نتيجةٍ ضمنيّةٍ مفادها: "احذروا نقض العهود والأيمان"؛ وحتى يكون الخطاب ناجعًا في إيصال رسالته التحذيريّة، جاء بتلك الحجج التّفيريّة التي أبانت عن المآل الأليم لمن يقع فيما حدّرت منه الآية، وقد ربطت الواو بين هذه الحجج، وجمعتها مرتبّةً، بدءًا من نفي حظّهم من

<sup>1</sup> سورة غافر، آية 52.

<sup>2</sup> سورة الزخرف، الآيات 74-75.

<sup>3</sup> سورة الحج، آية 11.

<sup>4</sup> منها أيضًا: آل عمران 87، 77-88، الرحمن 35، مريم 59، الزمر 40، طه 74...  
<sup>5</sup> سورة آل عمران، آية 77.

<sup>6</sup> ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج3، ص135.

<sup>7</sup> انظر: السابق، ج نفسه، ص نفسه.

<sup>8</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م1، ج3، ص383.

خيرات الآخرة، ثم إعراض الله عنهم وغضبه عليهم، وصولاً إلى مصيرهم الأخير في نار جهنم.

ويُلخّص الخطابُ الحجاجيُّ التحذيريُّ للآية بأن:

"احذروا نقض العهود والأيمان (احذروا الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب)، وإلّا فلا خلاق لكم في الآخرة، ولا يكلمكم الله، ولا ينظر إليكم، ولا يذكركم، ويعذبكم عذاباً أليماً. (وإلّا فمصيركم مصيرهم)"

لا يخفى، إذن، دورُ الواو البارزُ في الرّبط بين الحجج، وترتيبها تدريجيّاً، بحيث يزيد أثر الخطاب في نفس المخاطب مع إضافة كلِّ حجة، كما لا يخفى إسهامها في تلاحم النصّ وتناسقه وترتيب أجزائه.

• قال -تعالى-: {وَدَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا إِنَّا لَنَدِينَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا} <sup>1</sup>

لتتحدّث عن المكذّبين برسول الله (عليه الصّلاة والسّلام) من المرفّهين أصحاب النّعم خاصّةً، وتنفّر وترهبّ من اقتراف جرمهم عامّةً، قامت الآيةُ بتناول جزاء هؤلاء من العذاب يوم القيامة؛ حيث الأنكال، والجحيم، والطّعام ذو الغصّة "طعامٌ يغصّ به آكله فلا هو نازل عن حلّقه، ولا هو خارج منه" <sup>2</sup>، والعذاب الأليم، وجعلت منها حججاً في سبيل تحقيق الغاية الإقناعيّة للخطاب، وقد جاءت تلكم الحجج، بفضل الرّابط الحجاجيّ الذي يربط بينها (الواو)، متّصلةً، ومتّسقةً، تقويّ الواحدة منها غيرَها في داخل الاستراتيجية الحجاجيّة لتصلّ إلى النّتيجة المُبتغاة.

والخطاب الحجاجيّ في الآية يصاغ كما في العبارة التّالية:

لا تكذبُ بآيات الله ورسوله، سيكون مصيرك الأنكال، والجحيم، والطّعام ذا الغصّة، والعذاب الأليم.

<sup>1</sup> سورة المزمل، آية 11.

<sup>2</sup> الطبري، تفسير الطبري، ج7، ص 396.

• قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>1</sup>

قيل إنّ الخطاب في هذه الآية موجّه إلى عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه، فهم المقصودون من الاسم الموصول (الذين)<sup>2</sup>، وهو إن كان في خاصته يقصد ابن سلول وجماعته، فهو في عامته تحذيرٌ للبشر كافة -كما المعهود في النصّ القرآني- وعلى أية حال، فإنّ الآية ترمي إلى الترهيب من قذف المحصنات الغافلات اللاتي لا علم لهن بما رُمين به<sup>3</sup>؛ ولأجل ذلك، فإنها جمعت بوساطة الواو بين أصناف من العذاب، تشمل كل ألوان العذاب الدنيوي والأخروي، هي: اللعن في الدنيا، ويشمل "التفسيق، وسلب أهلية الشهادة، واستيحاء المؤمنين منهم، وحدّ القذف، واللعن في الآخرة، وهو الإبعاد من رحمة الله"<sup>4</sup>، والعذاب العظيم فيها، وقد عملت هذه الأصناف من العذاب حجاً يسند بعضها بعضاً في السير نحو النتيجة الخطابية المتمثلة بـ(إيّاكم وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)، فكان (اللعن في الدنيا) حجة أولى، (واللعن في الآخرة) حجة ثانية، (والعذاب العظيم في الآخرة) حجة أخيرة.

• الرّابط الحجاجي لكن

وهو من الروابط التي تربط بين حجج متعارضة، إذ إنّ وجوده في الخطاب الحجاجي يعني أن هناك تعارضاً بين ما يتقدّمه، وما يتلوّه، حيث يؤدي ما قبله نتيجة ما، فيأتي ما بعده ليؤدي نتيجة مخالفة لنتيجة سابقه، وتكون الحجّة، أو الحجج التي تأتي بعدها أقوى من الحجج التي تسبقها، فتتّجه بالخطاب كلّ نحو هذه النتيجة المخالفة، وهو، نحوياً، حرف استدراك "ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنك لما أخبرت عن الأول خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلّبا وإن إيجاباً. ولذلك لا يكون إلّا بعد كلام، ملفوظ به

<sup>1</sup> سورة النور، آية 23.

<sup>2</sup> انظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج18، ص 153.

<sup>3</sup> السابق، ج نفسه، ص نفسها.

<sup>4</sup> السابق، ج نفسه، ص نفسها.

أو مقدر... ولا تقع "لكن" إلّا بين متنافيين... وقال الزمخشري (لكن) للاستدراك، توسّطها بين كلامين مغايرين، نفيًا وإيجابًا. فتستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي.<sup>1</sup>

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ لـ (لكن) استعمالًا آخر غير الحجاجي؛ إذ تستعمل للإبطال كذلك، واستعمالها في الإبطال كما في الجملتين الآتيتين:<sup>2</sup>

• ليس العلم أحمر ولكنه أخضر.

• ما جاء عليّ لكن زيد.

حيث يُلاحظ أنّ لا تعارض حجاجيًا في المثالين، فهما يشتملان على تعارض ولكنه غير حجاجي، و(لكن) جاءت للإبطال؛ إذ تعبّر دائمًا عن معنى النفي والتعارض كما أكد معظم نحاة العربية.

جاء هذا الرّابط في الخطاب التّعاضّي لآيات العذاب؛ ليصفّ حال المشركين وما هم فيه من الغفلة، وكفران النعم، والإعراض؛ إذ عبّر القرآن عن هذه المعاني بقوله: {ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون}<sup>3</sup> وقوله: {ولكنّ أكثرهم لا يعلمون}<sup>4</sup>، وقوله: {ولكنّ أكثرهم يجهلون}<sup>5</sup>، وقوله: {ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرون}<sup>6</sup>، وقوله: {ولكنّ أكثرهم لا يشكرون}<sup>7</sup>، وقوله: {ولكنّ أكثر النّاس لا يؤمنون}<sup>8</sup>... وليبيّن نصيبهم من العذاب الأخرويّ نتيجة غفلتهم وإعراضهم، من ذلك قوله - تعالى-: {ولكنّ لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قليلاً} ﴿٤٦﴾<sup>9</sup>، وقوله: {ولكنّ كذبوا فأخذناهم بما

<sup>1</sup> المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني، ص 615، 616.

<sup>2</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 57-60.

<sup>3</sup> سورة الأنعام، آية 37، سورة الروم، آية 6.

<sup>4</sup> سورة الأعراف، آية 131، سورة يونس، آية 55

<sup>5</sup> سورة الأنعام، آية 111، سورة الأنفال، آية 34.

<sup>6</sup> سورة البقرة، آية 234، سورة يوسف، آية 38، سورة غافر، آية 61.

<sup>7</sup> سورة يونس، آية 60، سورة النمل، آية 73.

<sup>8</sup> سورة هود، آية 17، سورة الرعد، آية 1.

<sup>9</sup> سورة النساء، آية 46.



كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾<sup>1</sup>، وقوله: {قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)}<sup>2</sup>،  
 وقوله: {وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}<sup>3</sup>، وقوله: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ  
 ﴿٤٠﴾<sup>4</sup>، وقوله: {وَلَٰكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ  
 ﴿١٠٦﴾<sup>5</sup> وغيرها<sup>6</sup>...

ومما سأخذه بالتَّحليل في هذا السِّياق:

• قوله -تعالى-: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاعِكُمْ فَأَلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ (13) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرکم بالله الغرور (14)}<sup>7</sup>

بعد أن صاحب المنافقون المؤمنین في الدنیا مشارکین إیّاهم في ظاهر أعمالهم، یأتی یوم الحساب لتُجزى كل نفس بما عملت ظاهراً، وما نوت وأضمرت باطناً، في هذا الیوم یجعل الله للمؤمنین نوراً یسعی بین أیدیهم وعن جوانبهم، ویأذن لهم بالسیر إلى الجنة أفواجاً، ویجعل المنافقین الذین كانوا بصحبتهم في الدنیا سائرین خلفهم في الظلمات؛ فیطلب المنافقون من المؤمنین أن ینظروهم لیأخذوا من نورهم، فتجیبهم الملائكة أن یرجعوا إلى الیوم لیلتمسوا نوراً، وإجابة الملائكة لهم تهكمّ وسخریة؛ إذ لا نور لهم،<sup>8</sup> وفي تلك اللحظات یسأل المنافقون المؤمنین في سؤالٍ تقریریٍّ (ألم نكن معكم) جاء كناية عن طلب اللحاق بهم والانضمام إلیهم

<sup>1</sup> سورة الأعراف، آية 96.

<sup>2</sup> سورة الزمر، آية 71.

<sup>3</sup> سورة الحج، آية 2.

<sup>4</sup> سورة العنكبوت، آية 40.

<sup>5</sup> سورة النحل، آية 106.

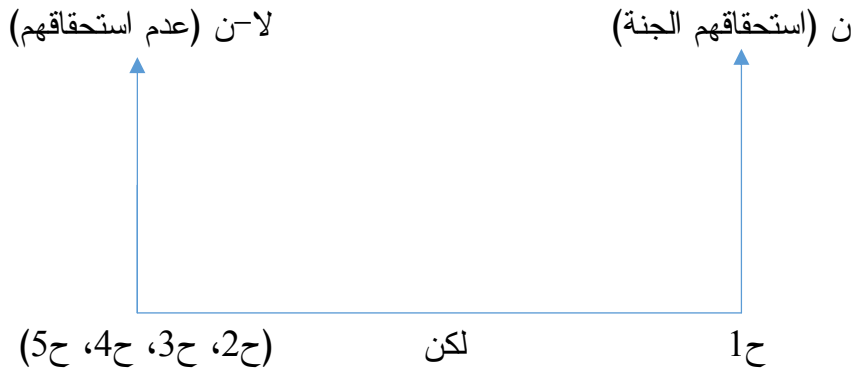
<sup>6</sup> سورة الأنعام، آية 43، سورة المائدة، آية 81، سورة الأنفال، آية 42.

<sup>7</sup> سورة الحديد، الآيات 13-14.

<sup>8</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 347.

كما كانوا معهم في الدنيا يعملون أعمال الإسلام من المسلمين<sup>1</sup>، فتجيء الإجابة كذلك بالتقرير (بلى)، ليتهايأ لمستمع هذه الإجابة أن لهم ما للمؤمنين من النور والجزاء الحسن؛ كونهم كانوا معهم في أعمالهم في الدنيا، وكأن في هذه الإجابة حجةً لصالح المنافقين تقتضي جزاءهم جزاء المؤمنين، ليأتي بعدها الرابطة الحجاجي (لكن) مستدرَكًا على ما قبله بحجج أقوى، تقود لنتيجة مغايرة، وتوجه الخطاب بأكمله نحو الوجهة التي تريدها، فقد أتبع الرابطة بحجج أربع تتضافر وتترتب فيما بينها بوساطة (الواو)؛ لتصل بالخطاب إلى النتيجة المرادة المتمثلة بـ"عدم استحقاق المنافقين للنور والجزاء الحسن كما للمؤمنين يوم القيامة، واستحقاقهم للعذاب"، وهذه الحجج هي: "أولاً: فتننتهم أنفسهم، أي: عدم قرار ضمائرهم على الإسلام...، ثانياً: التربص، والتربص: انتظار شيء... وحذف هنا مفعوله ومتعلقه ليشمل عدة الأمور التي ينتظرها المنافقون في شأن المؤمنين وهي كثيرة مرجعها إلى أذى المؤمنين والإضرار بهم...، ثالثاً: الارتياب في الدين...، رابعاً: الغرور بالأمانى... المراد بها ما كانوا يمتنون به أنفسهم من أن انتصار المؤمنين عرض زائل...<sup>2</sup>".

ويمكن تمثيل العلاقة الحجاجية السابقة عبر المخطط الآتي:



شكل (10): مخطط يظهر دور (لكن) في التوجيه الحجاجي للآيتين (13 و14) من سورة الحديد

حيث: ح1 = (بلى، كانوا مع المؤمنين في أعمالهم في الدنيا)، وهي تخدم نتيجة إيجابية في الخطاب.

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص347.

<sup>2</sup> السابق، ج27، ص348.

(ح2، ح3، ح4، ح5) تخدم نتيجةً سلبيةً معارضةً للأولى، وهي على الترتيب:

- فتنّتهم أنفسهم.
- تربّصهم.
- ارتياهم.
- اغترارهم بالأمان.

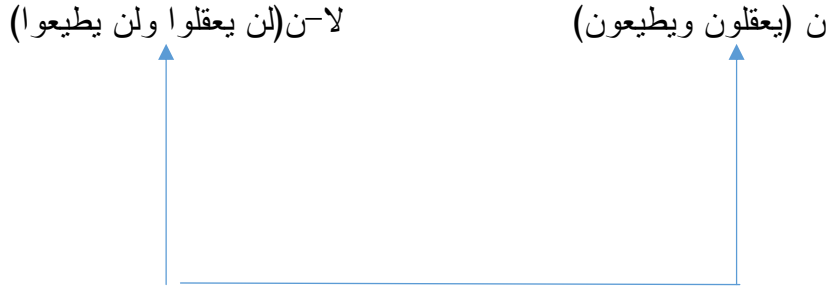
وهكذا يتضح من الرّسم كيف تربط (لكن) بين نوعين من الحجج، حيث يخدم إحداها نتيجة ما، ويخدم النوع الآخر النتيجة المضادة، وبما أن الحجج التي تأتي بعد لكن أقوى فهي التي ستوجه الخطاب إلى نتيجتها المضادة (عدم استحقاقهم).

• وقوله -تعالى-: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}<sup>1</sup>

يجمع الرّابط (لكن) في هذه الآية بين الحجّتين المتعارضتين (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) و(الظالمون اليوم في ضلال مبين)، حيث يقود التّعجب من شدة سمعهم وبصرهم يوم القيامة - وفي هذا إشارة إلى الطاعة يومئذ - ذهن المخاطب إلى الاعتقاد بأنهم كانوا في الدنيا كما في الآخرة، يسمعون ويبصرون فيطيعون، إلّا أن الاستدراك ب(لكن) سينفي ذلك الاعتقاد بسمعهم وطاعتهم، عبر إتيانه بحجّة أقوى من الحجّة السابقة له، يخبر الله -جلّ وعلا- فيها أنهم اليوم - أي في حياتهم الدنيا- في ضلال مبين، ف"لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون"<sup>2</sup>، وبالتالي، هم يرفضون الهدى إذ طلب منهم، ويطيعون يوم لا ينفعهم ذلك، وما دامت الحجّة الثانية (الظالمون اليوم في ضلال مبين) قد سيقّت بالرّابط (لكن) ستكون هي الحجّة الفائزة التي سيقنتت مخاطب بنتيجتها، ويُجسد ذلك بالرّسم الآتي:

<sup>1</sup> سورة مريم، آية 38.

<sup>2</sup> الطبري، تفسير الطبري، ج 5، ص 158.



ح1(بسمعون وبيصرون) لكن ح2(الظالمون اليوم في ضلال مبين)

شكل (11): مخطط يظهر دور (لكن) في التوجيه الحجاجي للآية (38) من سورة مريم

وهكذا سيُنتج الخطاب نحو النتيجة السلبية التي تفيد بعدم عقابيتهم وطاعتهم.

• قال -تعالى-: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup>

تخبر الآية بعذاب الظالمين، وتضع المخاطبين موضع المترددين في علم الخبر؛ فتجيء به مؤكداً بأداة التوكيد (إن)، زيادةً في التأكيد على مضمونه، تخبر أن للظالمين عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وهذا ما قصد بقوله "عذاباً دون ذلك" <sup>2</sup>، وقد قيل إن هذا العذاب قد يكون عذاب القبر، أو عذاب الجوع، وأياً كان فهو عذاب.

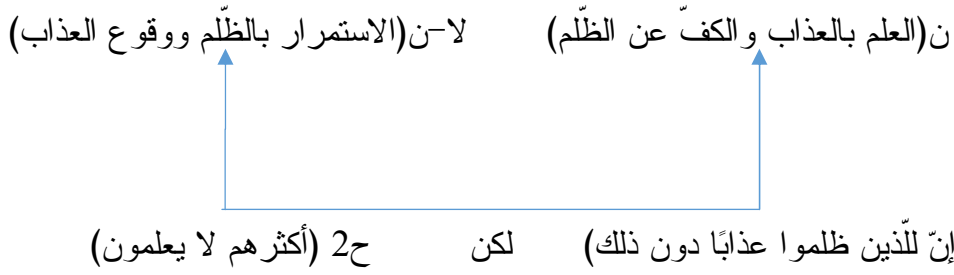
إن الإخبار بعذاب الظالمين والتأكيد عليه يقتضي العلم به، ثم الكف عن الظلم انقضاء العذاب، حيث يشكّل قوله "إن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك" حجةً تقضي إلى نتيجة من مثل (معرفة جزاء الظلم والكف عنه)، غير أن هذه الحجة أتبعَت بأخرى (لا يعلمون) مُساقَةً بالأداة (لكن)، وذلكم يعني أنها ستكون الحجة الأقوى، وستقضي إلى نتيجة مغايرة لنتيجة الحجة الأولى (لا-ن)، هي: (لن يكفوا عن الظلم، وسيذوقون العذاب)، التي ستكون بدورها نتيجة الخطاب المبتغاة؛ إذ إن عدم معرفتهم بوقوع العذاب -عدم خطرانه على بالهم- بسبب "بظلمهم وزهواهم" <sup>3</sup>، ستجعلهم يستمرّون في الظلم حتى ينزل بهم العذاب.

<sup>1</sup> سورة الطور، آية 47.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص90.

<sup>3</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص91.

وترسم البنية الحجاجية لهذه الآية بالخطاطة الآتية:



شكل (12): مخطط يظهر دور (لكن) في التوجيه الحجاجي للآية (47) من سورة الطور

### • الرّابطة الحجاجيّة بل

إنّ هذا الرّابطة حرف إضراب، إمّا إضراب إبطاليّ، وإمّا انتقاليّ، فهو كسابقه -لكن- يُستعمل للإبطال والحجاج، غير أنّه يتميّز عنه بأنّ استعماله الإبطاليّ حجاجيّ، يقول النّاجح: "بل للإضراب إمّا الإضراب الإبطاليّ وإمّا الإضراب الانتقاليّ. وفي كلتا الحالتين تكون (بل) رابطة بين حجّتين لا تكونان منتميتين إلى قسم حجاجي [يعني إلى القسم الحجاجي نفسه]"<sup>1</sup>.

وعن (بل) يقول ابن هشام: "حرف إضراب فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب إمّا الإبطال نحو؟ { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ }<sup>2</sup> أي بل هم عباد... وإمّا الانتقال من غرض إلى آخر... ومثاله { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْتِرُونَ آلَ حَيَوٰةَ الدُّنْيَا }<sup>3</sup>... وإن تلاها مفرد فهي عاطفة، ثمّ إن تقدّمها أمر أو إيجاب كاضرِب زيدًا بل عمرًا، وقام زيد بل عمرو "فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه؛ فلا يحكم عليه بشيء، وإثبات الحكم لما بعدها، وإن تقدّمها نفي أو نهي فهي تقرير لما قبلها على حالته، وجعل ضده لما بعده..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> النّاجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011، ص 140.

<sup>2</sup> الأنبياء، آية 26.

<sup>3</sup> الأعلى، الآيات 14-16.

<sup>4</sup> ابن هشام، عبد الله الأنصاري، مغني اللبيب، ج1، ص 112.

ولأنّ الرّابط (بل) يفيد الإضراب، أُستخدِم في سياق العذاب ومخاطبة المشركين استخدامًا بالغًا؛ لبيّط دعوي المشركين بإنكار وحدانيّة الله والبعث والعذاب، وإصرارهم على الكفر والجحود؛ ويردّ عليها؛ وليخبر بمصير هؤلاء المشركين. ومن الآيات التي استخدِم فيها (بل) في هذا السياق قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ؕ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ؕ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)﴾<sup>1</sup>، وقوله: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتَهُمُ الْأنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُفٌّ ؕ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّآ قَلِيلًا﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ؕ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>3</sup>، وقوله: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ؕ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ؕ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾<sup>4</sup>، وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾<sup>5</sup>، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا السَّيِّئَ أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرَءُونَ نَشُورًا﴾<sup>6</sup>، وقوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَنبَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>7</sup>، وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾<sup>8</sup>، وقوله: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي العَذَابِ وَالضَّلَالِ البَعِيدِ﴾<sup>9</sup>، وقوله: ﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ؕ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾﴾<sup>10</sup>... إلخ.<sup>11</sup>

<sup>1</sup> سورة الأعراف، آية 179.

<sup>2</sup> سورة النساء، آية 155.

<sup>3</sup> سورة النور، آية 50.

<sup>4</sup> سورة العنكبوت، آية 63.

<sup>5</sup> سورة الفرقان، آية 11.

<sup>6</sup> سورة الفرقان، آية 40.

<sup>7</sup> سورة المؤمنون، آية 71.

<sup>8</sup> سورة المؤمنون، آية 81.

<sup>9</sup> سورة سبأ، آية 8.

<sup>10</sup> سورة السجدة، آية 10.

<sup>11</sup> الصافات 30/26، ص2، الطور 33، الانشقاق 9، المطففين 14، الفتح 15، ق 15، النمل 66/55، الأنبياء 97، لقمان

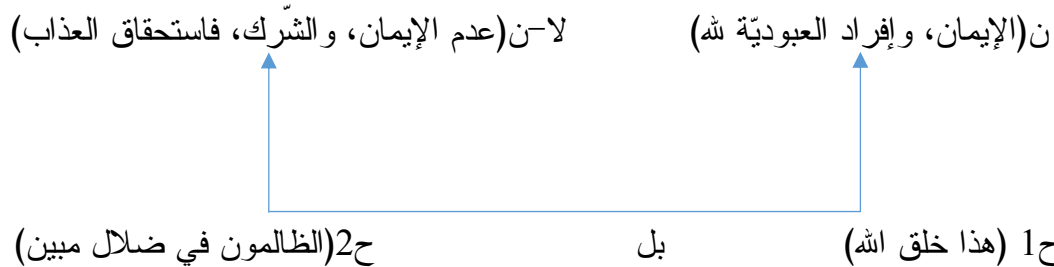
أما نماذج (بل) التي سأحللها فهي:

- قال -تعالى-: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>1</sup>

جاءت هذه الآية في سياق إثبات الخلق لله وحده، فقد عددت بعض دلائل قدرته -جل شأنه- من خلق السموات، والأرض، والجبال، والدواب، وإنزال المطر، وإخراج الزرع، وذلك بعد إعراض الكافرين، وإصرارهم على الشرك وعبادة الأوثان، فكانت الآيات ردًا على إعراضهم وإنكارهم، ثم جاء الطلب من المولى لهؤلاء الكافرين بأن يخبروه ماذا خلق غيره ممن يعبدون، وهو طلبٌ تعجيزيٌّ تهكميٌّ؛ يثبت بطلان ادعائهم واستحالته.<sup>2</sup>

بعد ذكر مخلوقات الله، وإثبات قدرته، يُعتقد أن المخاطبين (الكافرين المعرضين) لا بد أن يؤمنوا، ويعودوا عن إعراضهم، لكن هذه الحجّة (هذا خلق الله) التي تقتضي (الإيمان وإفراد الله بالعبودية) أُرِدفت بحجّة أقوى ساقها الرابطة الحجاجي (بل) -الذي أفاد الإضراب للانتقال من عرض إلى عرض من غير إبطال- يُخبرنا الله فيها أن (الظالمون في ضلال مبين)، حيث انتقل من سياق جدال أولئك المعرضين إلى سياق الإخبار بضلّالهم، حيث الجحودُ وادّعاءُ الإلهية لغير الله، إذن: (لن يؤمنوا، فهم يستحقون العذاب)، وستكون هذه هي نتيجة الخطاب في الآية؛ إذ هي نتيجة الحجّة الأقوى فيها.

وتتضح البنية الحجاجية للآية بالشكل الآتي:



شكل (13): مخطط يظهر دور (بل) في التوجيه الحجاجي للآية (11) من سورة لقمان

<sup>1</sup> سورة لقمان، آية 11.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، جزء 21، ص 94.

- قال -تعالى-: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ أَمْ تُبَيِّنُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظُهُرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}<sup>1</sup>

في سياق آخرٍ يحاجج بإفراد الله بالعبودية، وينفي إشراك غيره معه، جاءت (بل) - كما في المثال السابق تفيد الإضراب للانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ من غير إبطال - لتقييم هذه العلاقة الحجاجية، حيث جمعت بين كفتين من الحجج، جاء أربعٌ منها في كفةٍ قبل (بل)، وثلاثٌ منها جاءت بعدها في كفةٍ أخرى، تسير كلُّ كفةٍ منهما بالخطاب نحو غايةٍ تريدها، لترجح (بل) غايةَ الكفةِ التي أتت بعدها، فتوجهَ الخطاب بأكمله نحوها.

أما الحجج التي جاءت قبل (بل)، فقد اجتمعت لتتجه بالمخاطب نحو الاعتقاد بهداية المقصودين من الخطاب من الكافرين وإقناعهم بإفراد العبودية لله وحده، وهذه الحجج هي:<sup>2</sup>

- الحجّة الأولى: مساواة من يقوم على أمر كل نفس فيدبر كل شؤونها في الخلق والرزق والأجل ويعلم أحوالها بمن لا يقدر على فعل شيء من هذا ممن يعبدون من الأصنام، وتوبيخ الكافرين على إشراكهم تلك الأصنام مع الله.

- الحجّة الثانية: جعلهم أسماء لا مسميات لها آلهة.

- الحجّة الثالثة: إبطال كون أصنامهم آلهة بأن لا يعلمها آلهة، وهو كناية عن انتفاء إلهيتها.

- الحجّة الرابعة: أن ادعاءهم آلهة مجرد كلام لا انطباق له مع الواقع، وهو قوله (أم بظاهر من القول).

هذه الحجج الأربع كافية لإقناع الكافرين بأن الله وحده من يستحق العبودية، ويبطل حجّتهم في عبادة الأصنام، إذ يُتوقع بعدها انسياقهم وتسليمهم، لـ (يفردوا الله بالعبودية ويتخلّوا عن عبادة الأصنام).

<sup>1</sup> سورة الرعد، آية 33.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج12، ص 194-195.



وأما الحجج التي جاءت بعده وهي:

الحجة الخامسة: تزيين المكر للكافرين.

الحجة السادسة: صدّهم عن السبيل.

الحجة السابعة: أضلّهم الله فلا هادي لهم.

فهي تجزم نتيجة الخطاب كـله بأن لا هداية ولا صلاح لهؤلاء الكافرين؛ إذ زين لهم كبار الكفار عبادة الأصنام وأفنعوهم بحسنها وحقها بالعبادة، وهذا هو المقصود من المكر<sup>1</sup>، وصدّوهم عن سبيل الطريق الصحيح، وكتب الله عليهم الضلال نتيجة لأعمالهم فلا هادي لهم من بعده.

وزيادة في جلاء العلاقة الحجاجية هنا، أتت بالخطأ الآتية:

ن (سيهتدون ويفردون الله بالعبودية)      لا-ن (لن يهتدوا ويفردوا العبودية لله)

(ح1، ح2، ح3، ح4)      بل      (ح5، ح6، ح7)

شكل (14): مخطط يظهر دور (بل) في التوجيه الحجاجي للآية (33) من سورة الرعد

• قال -تعالى-: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ<sup>2</sup> بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ<sup>2</sup>}

أساء اليهودُ مقابلة الدعوة المحمّدية، حيث قابلوها بالإعراض والتكذيب، وكان فيما برّروا به صدّهم وإعراضهم قولهم "قلوبنا غلف"، يقصدون أنها تعاني قصوراً في الفهم والوعي، خاصةً، في فهم الضلالات التي جاء بها محمد -كما يعتقدون-<sup>3</sup>، فكان قولهم (قلوبنا غلف) حجةً تصرف الأذهان إلى الاعتقاد بأن سبب عدم إيمانهم قصوراً عندهم في الأفهام، بالتالي: إنهم

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 12، ص 194.

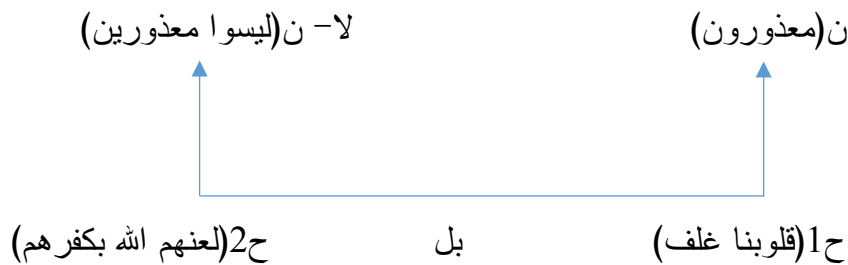
<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 88.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 1، ص 582.

معذورون، غير أنّ السببَ الحقيقيَ لعدم الإيمان، الذي سيدحض حجّتهم، ويكذبها، يكشفُ عنه الله سبحانه بوساطة الرّابط الإبطاليّ -في سياق الآية هذه- (بل)، الذي لا يأتي إلّا بالحجج الأقوى في الخطاب، فيدحض كلّ ما هو دونها، ألا وهو (لعنة الله لهم بسبب كفرهم)؛ فكان كفرهم سبباً لطردهم من رحمة الله، وحرمانهم الخيرِ وأسبابه، لذلك حرّموا نعمةَ الإيمان؛ ولمّا كان الكفرُ والإصرار عليه هو سبب عدم الإيمان، إذن: لا عذرَ لهم.

وبذا، يتجلّى أنّ في الآية حجّتين متعارضتين هما: (قلوبنا غلف)، و(لعنهم الله بكفرهم)، كان المتكلّم في الحجّة الأولى اليهود أنفسهم، وكان المتكلّم في الحجّة الثانية الله -جلّ شأنه- تتّجه الأولى إلى نتيجةٍ تعطي اليهود العذرَ، وتبرّر لهم عدم الإيمان، وتتّجه الثانية إلى نتيجةٍ مضادّة؛ حيث لا عذر لهم ولا مبررٍ، إلّا أنّ الخطاب القرآنيّ، لا بدّ أن يقنع المخاطبَ بوجهة واحدة، يتماهى معها ويصدقها، وهي وجهة الحجّة المساقاة بالضمير بل، أي: (لا عذر لليهود في عدم إيمانهم).

وتصاغ العلاقة الحجاجيّة في الآية على النحو الآتي:



شكل (15): مخطط يظهر دور (بل) في التوجيه الحجاجي للآية (88) من سورة البقرة

### ثانياً: العوامل الحجاجيّة

إلى جانب الرّوابط الحجاجيّة التي تعمل مؤشّرات لغويّة مسؤولةً عن توجيه الأقوال نحو نتيجةٍ مخصوصة، تتوفر اللّغة على مؤشّراتٍ أخرى تعمل كإرشادات تُعين المؤلّفين على استنتاج معاني الأقوال، وتوجّههم نحو الاقتناع بوجهةٍ واحدةٍ تشكّل غاية القول، تلكم المؤشّرات اللّغويّة هي العوامل الحجاجيّة.

إنّ العوامل الحجاجية علاماتٌ وصرافم لغوية كالروابط، لكنّها تتميز عنها في كونها لا تربط بين متغيّرات حجاجية، أي بين حججٍ ونتائج، أو بين مجموعة من الحجج، إنّما تتوضع في داخل القول الواحد، فتقوم "بحصر الإمكانيات الحجاجية وتقييدها"<sup>1</sup> لهذا القول، وهي "المسؤولة عن تركيب الوضعيات الخطابية وتحويلها"<sup>2</sup>، ومن الأدوات التي تشملها هذه العوامل: ربّما، تقريبا، كاد، كثيرا، ما... إلّا، وجلّ أدوات القصر...، ويوسّع النّاجح دائرة هذه العوامل؛ لتضمّ الأبنية التركيبية والظواهر اللغوية.<sup>3</sup>

ويعرّف موشر العوامل الحجاجية فيقول: "إذا كانت (با) مجموعة من الملفوظات، تشترك في المحتوى ن، ومجموعة (با\*) من الملفوظات، تشترك في المحتوى ن\*، بحيث ن = ن+و (بحيث يكون (و) عاملاً حجاجياً مثل: تقريبا، تماما، بعد، قليلا، كثيرا... إلّا) فإنّ (و) سيعتبر عاملاً حجاجياً، إذا كانت إمكانيات الحجاج التي تتيحها (با\*)، مختلفة عن تلك التي تتيحها (با)، من غير أن يكون ذلك متولّداً عن المعلومات التي يضيفها (و)، أي عن قيمتها الخبرية المجردة"<sup>4</sup>، ويتّضح من تعريف موشر أهمية العامل في تغيير المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يدخل عليه، هذا التغيير الحاصل في المحتوى (المعنى)، ليس مستمداً من المعنى المجرد للعامل، وإنّما من وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، فهو لا يضيف مضموناً خبرياً جديداً، بقدر ما يحوّل المضمون الخبري القائم؛ ليؤدّي وظيفة تتلاءم مع الموقف الحجاجي للمتكلّم.<sup>5</sup>

للعوامل عددٌ من الوظائف الحجاجية تكسبها للملفوظات التي تدخل عليها، منها:<sup>6</sup>

1. القضاء على تعدّد الاستلزامات والنتائج، وذلك بنقل المتقبّل من التّعدد والغموض إلى وحدة النتيجة.

<sup>1</sup> العزاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث منشور، ص 64.

<sup>2</sup> النّاجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 25.

<sup>3</sup> ينظر: السابق، ص 21.

<sup>4</sup> نقلا عن رشيد الرازي حيث ترجمه في كتاب: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 102.

<sup>5</sup> ينظر: السابق نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>6</sup> النّاجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 35.

2. الانتقال بالملفوظ من الإِبلاغِيَّة إلى الحجاجِيَّة.

3. قدح المواضع وتنشيطها، فالموضع هو العمدة في ارتباط القول الحجَّة بالنتيجة.

4. تقوية التَّوجِيه نحو النتيجة.

وخالصة القول: إنَّ للعوامل أثرًا بارزًا في الحجاج اللُّغوي، وذلك عبر تحديدها للتَّوجِيه الحجاجي للقول، وحصص وجهات تأويله على المقصد الذي يتغيَّاه المتكلم؛ بالتَّالي، الحد من غموض الخطاب، والقضاء على كلِّ استلزام لا يؤيِّد ذلك المقصد.<sup>1</sup>

### العوامل الحجاجِيَّة في آيات الرَّحمة

#### • العامل الحجاجي (ما/لا/إن...إلَّا):

وهي من أدوات القصر والاختصاص في العربيَّة، فهي تقصر الأمر وتحصره على صاحبه دون سواه، وتستعمل عندما يكون المخاطب منكرًا للخبر؛ فتأتي لنفي الشكِّ والارتياب عنده، وفي ذلك يقول الجرجاني: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: (ما هذا إلَّا كذا) و(إن هو إلَّا كذا)، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشكُّ فيه، فإذا قلت: "ما هو إلَّا مصيب" أو: "ما هو إلَّا مخطئ" قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: "ما هو إلَّا زيد"، لم تقله إلَّا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون (زيدًا)".<sup>2</sup>

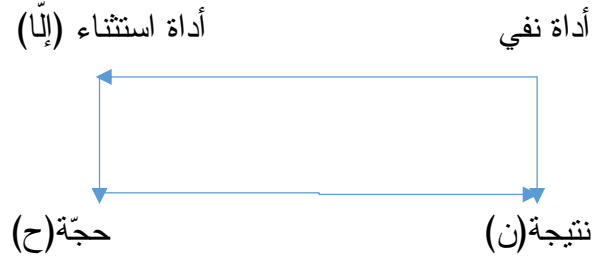
يقوم هذا العامل المكوَّن من أداة نفي وأداة استثناء على حصر الفعاليَّة الحجاجِيَّة في جهةٍ واحدة، ويضيف إلى القول قوَّة حجاجِيَّة تزيد من طاقته في توجيهه نحو نتيجته المضمرة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الشَّامي، أطاف، العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا)، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ع43، ج1، ص 423-424.

<sup>2</sup> الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1424-2004، ص332.

<sup>3</sup> حنون، عايد جدوع، الحجاج في كلام الإمام الحسين، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ط1، 2017، ص 134.

ويمثل هذا العامل وفق المخطط الآتي.<sup>1</sup>



شكل (16): المخطط العام الذي يظهر دور (إلا) في التوجيه الحجاجي

وقد وظّف هذا العامل في خطاب الرّحمة والعذاب في القرآن الكريم؛ ليؤدّي دوره في حصر الإمكانات الحجاجيّة في الخطاب على الغاية المرادّة، ومما جاء منه في خطاب الرّحمة قوله - تعالى-: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ...}،<sup>2</sup> وقوله: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)}،<sup>3</sup> وقوله: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}،<sup>4</sup> وقوله: {إِنَّ أَوْلِيَاءُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ}،<sup>5</sup> وقوله: {وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ}...<sup>6</sup>

وما سأقتصر على تحليله من توظيف هذا الرّابط في خطاب الرّحمة الآتي:

• قوله -تعالى-: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}،<sup>7</sup>

كانت بعثة محمد (عليه الصّلاة والسّلام) رحمةً للبشر كافّة، فقد قال عليه السّلام عن نفسه: " أنا رحمة مهّداة"، وقال -تعالى-: {فبما رحمة من الله لنت له}،<sup>8</sup> فالرحمة من صفاته (عليه السّلام)،

<sup>1</sup> تومي، عيسى، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني- سورة البقرة أنموذجاً، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014/2015، ص 145.

<sup>2</sup> سورة هود، الآيات 118-119.

<sup>3</sup> سورة الأنفال، آية 10.

<sup>4</sup> سورة هود، آية 6.

<sup>5</sup> سورة الأنفال، آية 34.

<sup>6</sup> سورة آل عمران، آية 135.

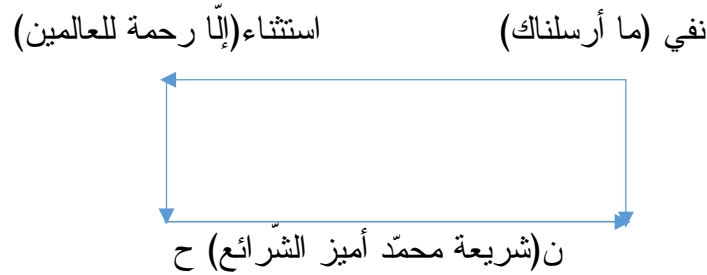
<sup>7</sup> سورة الأنبياء، آية 107.

<sup>8</sup> آل عمران، 159.

إِلَّا أَنْ وَرود أداة القصر (ما...إِلَّا) في هذه الآية، قصر غايةً بعثته على الرحمة، وإن انتصاب لفظة (الرحمة) على الحالية<sup>1</sup> يجعله صفةً من أوصاف المقصود من الخطاب، وهو محمد (عليه السلام)، كما أن وجود عامل القصر أدى إلى حصر الصفة في الموصوف وقصرها عليه، وفي هذا "إيماء لطيف إلى أن الرسول اتحد بالرحمة وانحصر فيها، ومن المعلوم أن عنوان الرسولية ملازم له في سائر أحواله، فصار وجوده رحمة وسائر أكوانه رحمة، ووقوع الوصف مصدرًا يفيد المبالغة في هذا الاتحاد بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله"<sup>2</sup>.

إن هذا القول يتغيًا إقناع المخاطبين بمزية رسالة محمد (عليه السلام) على غيرها من الرسائل؛ كونها رحمة لهم وللمخلوقات كافة، وإن ورود الخبر بالعامل (ما...إِلَّا) يدل على أن هناك منكرًا له، إلا أن سوق الخبر بهذا العامل قلص إمكانات الحجاج، مما أدى إلى تقوية الفعالية الحجاجية في توجيهها نحو نتيجتها (شريعة محمد أميز الشرائع وأكملها).

وتمثل الفعالية الحجاجية للآية كما يأتي:



شكل (17): مخطط يظهر دور (ما-إِلَّا) في التوجيه الحجاجي للآية (107) من سورة الأنبياء

• وقوله: {قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}<sup>3</sup>

بشرت الملائكة نبي الله إبراهيم بسلام، فتعجب من إمكانية حصول ذلك بعد أن أصابه الكبر، فكان ردّه أن نهوه عن استبعاد ذلك؛ لأن في استبعاده بأسًا من رحمة الله، وفي نهيم له تأدب

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج17، ص 122.

<sup>2</sup> ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج17، ص 122.

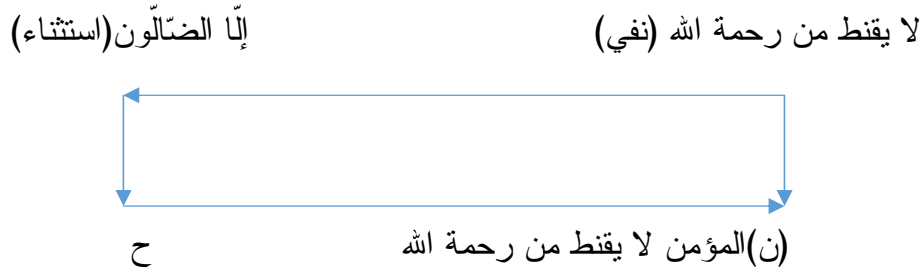
<sup>3</sup> سورة الحجر، آية 56.

ولأن الاستفهام في الآية إنكاري يفيد النفي (التحرير والتنوير 48/14) كأن العبارة: لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، جئت بها مثالًا على عاملية أدوات القصر.

معه، حيث لم يفترضوا أن يكون قانطاً، كونه نبياً منزهاً، ولكنه تعجب من غير إنكار، ومن أدنى تنبيهه تذكر، فقال: "ومن يقنط من رحمة ربه إلّا الضّالون"<sup>1</sup>.

وقد قصر إبراهيم (عليه السلام) القنوط من رحمة الله على الضّالين، وفي هذا إشارة إلى تنزّهه هو خاصّة من القنوط، إضافة إلى نفي القنوط عن المؤمنين عامّة، فقصر القنوط وحصره على الضّالين يعني نفيه عن غيرهم، وهكذا يكون عامل القصر قد حدّ من احتمالات توجيه الخطاب، وقوى من وجهتها نحو نتيجة واحدة، وهي (المؤمن لا يقنط من رحمة الله).

ويمثّل السابق كما الآتي:



شكل (18): مخطط يظهر دور (لا-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (56) من سورة الحجر

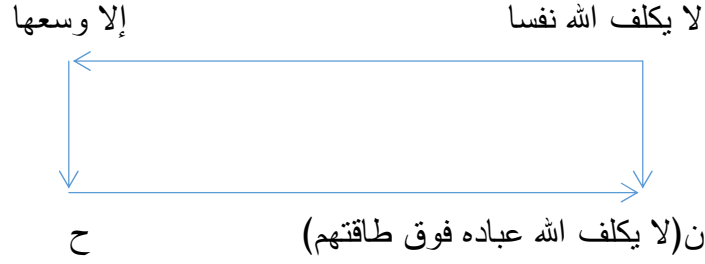
• وقوله -تعالى-: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>2</sup>

كلّف الله سبحانه عباده بفرائض وطاعات، ولكن من رحمته سبحانه أنه قصر تكليفهم على ما يطيقون؛ فاستخدام أداة القصر حصر تكليف العباد بما تسعه نفوسهم، فلم يجعل التّكليف فوق طاقتهم.

ويمكن تمثيل القول الحجاجي السابق بالخطاطة الآتية:

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 14، ص 48.

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 286.



شكل (19): مخطط يظهر دور (لا-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (286) من سورة البقرة

### • ضمير الفصل

عدّ النّاجح ضميرَ الفصلِ من أدوات القصر التي لها دورٌ في الفعاليّة الحجاجيّة؛ ذلك عبر إفادتها مفهومَ المخالفة الذي تقيده أداة القصر (إنّما)، ويُعنى به إثبات الأمر لشيء ونفيه عمّا سواه، أو قصره على شخص ونفيه عمّن سواه<sup>1</sup>، ويأتي هذا العامل عادةً بين المبتدأ والخبر، أو بين ما كان أصله مبتدأ وخبراً، كما في قولنا: إنّ محمداً هو المجتهد، كما يميّز الخبر من التّابع، فإن وُجد ضمير الفصل في الكلام علّم أنّ ما بعده خبر وليس تابعاً.<sup>2</sup>

وجاء هذا العامل في آيات الرّحمة ليثبت الرّحمة الإلهيّة ويؤكدّها، ولإبراز هذا الدّور الحجاجيّ الذي يقوم به، سأخذ الآيات الآتية:

### • قال -تعالى-: {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}<sup>3</sup>

فصل ضميرُ الفصلِ (هو) في هذه الآية بين اسم إنّ وخبرها، قاصراً صفتي التّوبة والرّحمة على ما تشتملان عليه من معنى المبالغة على الله عزّ وجلّ، وهو بإضافته إلى الملفوظ قاد إلى مفهومٍ مخالفٍ له، أي: نفى حكم الخبر عن غير الموصوف في الملفوظ، بمعنى: "غير الله ليس تواباً وليس رحيماً".

<sup>1</sup> ينظر: الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 58.

<sup>2</sup> د. فاضل السامرائي، برنامج لمسائات بيانية، الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=Ns5Ow3DPihY>

<sup>3</sup> سورة التوبة، آية 104.



ولو جاء القولُ/ الملفوظ خاليًا من ضمير الفصل:

• **إنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ.**

لاقتصر معنى الملفوظ على معناه الإبلاغيّ دون الحجاجيّ، ولتعدّدت الاستلزامات التي يقود إليها، فيمكن أن يردّ منكرٌ أو متردّد: نعم، الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ، وغيره تَوَّابٌ رَحِيمٌ-تعالى- الله، لكنّ مجيء الملفوظ بضمير الفصل قوَى التوجيه نحو نتيجة واحدة اقتضت فيها الصّفتان (التَّوَّابُ والرَّحِيمُ) على موصوفهما (الله جلّ وعلا)، وحالت دون ترك مجالٍ للشك في الخبر.

• **قال -تعالى-: {وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}<sup>1</sup>**

جاء ضمير الفصل ليقتصر الفوز العظيم على الوقاية من السيئات، والوقاية من السيئات تشمل اتّقاء العذاب يوم القيامة والفوز في الجنّات، وهل من فوزٍ أعظم من هذا الفوز؟

إنّ قصر الفوز العظيم على الوقاية من السيئات ينفيه عن غيره، فلن يدّعي منكر أنّ هناك فوزًا بعظمة هذا الفوز؛ وبهذا يكون ضمير الفصل قد قلّص الإمكانيات الحجاجيّة للخطاب.

وقد ورد قوله -تعالى-: {ذلك هو الفوز العظيم} في غير موضعٍ في خطاب الرّحمة في القرآن<sup>2</sup>، وكلّها يُقصر الفوز العظيم على الفوز بالجنّات واتّقاء العذاب، فلن يكون فوزٌ أسمى من هذا الفوز.

## النّفْي

يكون النّفْي في العربيّة بحروفٍ مختصّة هي: (لا، ما، لم، لن، لمّا، إن)، ويعني عند المناطقة تحويلَ القضية الصّحيحة إلى خاطئة، والعكس<sup>3</sup>. وليس مفهوم النّفْي عند اللغويين ببعيدٍ عن مفهومه عند المناطقة، فقد عرفه ابن يعيش بأنّه إكذاب؛ حيث يقول: "اعلم أنّ النّفْي إنّما يكون

<sup>1</sup> سورة غافر، آية 9.

<sup>2</sup> التوبة 72/111، الحديد 12، الدخان 57، يونس 64.

<sup>3</sup> محفوظي، سليمة، عملية أدوات النّفْي الحجاجية، مقال منشور من 10 سنوات، موقع دنيا الوطن.

على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب" <sup>1</sup>.

وقد عدّ النَّفْيُ من العوامل الحجاجية التي يحقّق المتكلم بوساطتها غايتها في إقناع المخاطب ودفعه إلى القبول والتّسليم؛ إذ يوجّه النَّفْيُ الأقوال الحجاجية إلى نتائجها من بداية الخطاب، حيث يفضي دخوله على الخطاب إلى قلب نتيجته وتحويل محتوى القضية عن طريق إكذاب محتواها السابق، فقط من جرّاء سلطة العامل الدّاخل؛ حيث لا تغييرَ لفظياً في المحتوى سوى إضافة عامل النَّفْيِ. <sup>2</sup>

كما يعدّ النَّفْيُ أكثرَ العوامل إبرازاً لمفهوم الأصواتية/ التّعدّد الصوتي؛ إذ "يسمح للمتكلّم بالتعبير المتزامن عن الصّوتين المتقابلين: الصّوت الذي يتبنّى جانب الإثبات، وصوت المتكلّم المتبني للنّفي، فالنّفي يشير إلى إثبات ضمنيّ، يردّ عليه، ممّا يجعله تجلياً واضحاً لتعدّد الأصوات في الخطاب" <sup>3</sup>.

وقد ورد النَّفْيُ في آيات الرّحمة كما ورد في غيرها؛ وكان ممّا سعى إلى تحقيقه في خطاب الرّحمة إعلانه عن شيء من نعيم المؤمنين في الجنّة؛ فلا خوف عليهم، ولا حزن يصيبهم، ولا نصب أو تعب، وهو لما نفى الخوف، والحزن، والنّصب، عن المؤمنين في الجنّة دحض كلّ رأي أو ادّعاء يخالف هذه الوجهة؛ إذ لا قوّة فوق قوّة النَّفْيِ الحجاجية، والمعنى الذي يأتي به النَّفْيُ هو المعنى الأبقي، وقد جاء هذا المعنى في غير موضع في القرآن <sup>4</sup>، كما في قوله - تعالى-: {لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون} <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ط المنيرية، دت، ج8، ص 107.

<sup>2</sup> ينظر: الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في العربية، ص 47-48.

<sup>3</sup> فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992، ص 94.

<sup>4</sup> البقرة 38، فاطر 35، المائدة 69، الحجر 48، آل عمران 170، الأعراف 49، الأنعام 48، الأحقاف 13...

<sup>5</sup> سورة الأعراف، آية 49.

ومن الآيات التي استعمل فيها النفي في خطاب الرحمة كذلك قوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>1</sup>، ففي هذه الآية استعمل النفي ليؤكد مظهرًا من مظاهر رحمة الله بالمؤمنين، وهو أن الله لن يضيع أجر أعمالهم، بل سيجازون عنها جميعًا بالنعيم والإحسان، وإن وجود صوت النفي في هذا الموضع يعني وجود صوت آخر يحمل وجهة نظر تعاكس وجهة النظر التي يؤكدها صوت النفي، صوت يزعم أن الله يضيع أجر المؤمنين، لكن وجود النفي يقطع كل صوت مخالف ويثبت الخبر الذي جاء هو به، وهو (أن الله لا يضيع أجر المؤمنين).

### العوامل الحجاجية في آيات العذاب

• (ما / لا / إن...إلّا):

مثلما وُظف عامل القصر في آيات الرحمة توظيفاً يثبت الرحمة الإلهية، وُظف العامل نفسه في آيات العذاب توظيفاً يؤكد جحود الكافرين ووقوع العذاب بهم، ومما جاء منه في آيات العذاب:

• قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِكْرَمَيْنِ إِذِ اسْتَسْقَمَ لِسَانُهُمْ مِنَ الْمَذْحِجَةِ وَكَانَ تَتْلُو آيَاتِنَا أَنْبَاءً كَثِيرَةً وَآمَنَ بِرَبِّهِمْ فَاسْتَجَبْنَا لِقَوْلِهِمْ وَأَثَرْنَاهُمْ فِي آيَاتِنَا أَنْبَاءً كَثِيرَةً﴾<sup>2</sup>

سبقت ذي الآية بآيتين تخبران أن الله سينزع من كل شيعة أشدهم عتياً، ليُلقيَ بهم في نار جهنم، فهو أعلم "بالذين هم أولى بها صلياً"<sup>3</sup>، ثم جاءت هذه الآية لتؤكد أن طوائف الشرك والكفر كافة سيردون نار جهنم، فقد وجبت عليهم جميعاً، وقضى الله لهم ذلك، فلا يظنن ظان أن انتزاع الله للأشد عتياً سيمنع العذاب عنهم، أو أن كبراء الكفر سيكونون لهم فداء.<sup>4</sup>

ولدفع إنكار وقوع العذاب ببعض شيع الكفر، أو قصره على بعضها دون سواه؛ جاء الخبر محصوراً بأداة القصر (إن...إلّا)، وبعد أن كان الخطاب في الآيتين السابقتين بضمير الغيبة (لنحشرنهم، لنحضرنهم، أيهم...)، تحول مع أداة القصر إلى ضمير الخطاب (إن منكم)

<sup>1</sup> سورة آل عمران، آية 171.

<sup>2</sup> سورة مريم، آية 71.

<sup>3</sup> سورة مريم، آية 70.

<sup>4</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 16، ص 68-69.

لتحصرَ الخبرَ في المخاطبينِ \_ من الكافرينِ \_ جميعاً فلا تترك أحداً منهم، ولما شملت أداة القصر الكافرين كلهم حدثت من تعدد الاستلزامات التخاطبية للقول، وزادت من قوته في وصوله إلى مراده؛ إذ لم يبق مجالاً للشك في ورود أحد الكافرين النار، كلهم سيردها.

وزيادةً في إبراز دور العامل في تقليص الإمكانيات الحجاجية في القول السابق، سأتي به من غير العامل ليتبين الفرق الذي أحدثه دخوله:

ق: منكم واردٌ نار جهنم.

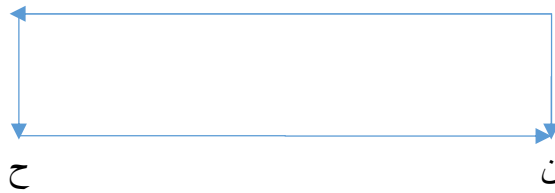
ق: إن منكم إلا واردةا.

إنّ الملفوظ (ق) يخبر أنّ من المخاطبين من سيرد نار جهنم، وهذا يحتمل أنّ أحداً منهم لن يردها، في حين أنّ دخول عامل القصر على الملفوظ (ق) حصر ورودها في المخاطبين جميعهم، فلم يُبق أحداً ليستثنى، وبهذا قلص إمكانيات الحجاج، ولم يترك مجالاً للشك في الاحتمال الوارد في الملفوظ (ق).

ويعبر عن الموقف الحجاجي للآية بالرسم الآتي:

استثناء (إلا واردةا)

نفي (إن منكم)



(كلّم سيرد نار جهنم)

شكل (20): مخطط يظهر دور (إن-إلا) في التوجيه الحجاجي للآية (71) من سورة مريم

وكما قام عامل القصر في الآية السابقة بتقليص الإمكانيات الحجاجية ليقرّ بحقيقة ثابتة لا وهم فيها، وهي حقيقة حلول العذاب بالمشركين وخسرانهم يوم القيامة، على اختلاف أعمالهم الجادة التي أدت بهم إلى هذه النهاية، جاء العامل نفسه يقرّ بالحقيقة نفسها في مواضع أخرى من

مواضع العذاب في القرآن، كما في قوله -تعالى-: {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا<sup>1</sup> وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ<sup>2</sup> وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ<sup>3</sup>، وقوله: {أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ<sup>4</sup>، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...<sup>5</sup>، وقوله: {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا<sup>6</sup> وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا<sup>7</sup>... إلخ<sup>8</sup>

### • القصر بـ(إنما)

تعدّ إنمّا أداة قصر؛ لأنها تتضمن معنى ما وإلّا<sup>9</sup>، وهي تفيد في الكلام بعدها: "إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت إنمّا جاءني زيد عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو"<sup>10</sup>، كما تفيد إنمّا قصر الصفة على الموصوف<sup>11</sup>، ويقتصر دور هذا العامل على الحجاج دون الإخبار، يتجلى ذلك في قول الجرجاني: "اعلم أنّ موضوع إنمّا على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته...تفسير ذلك أنك تقول للرجل "إنمّا هو أخوك" و "إنمّا هو صاحبك القديم: لا تقول لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقرّ به، إلّا أنك تنبّه لما يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصّاحب"<sup>12</sup>، وإنّ دخول عامل القصر (إنمّا) على الملفوظات الحجاجية يوجّهها نحو نتيجة محدّدة ضيقة<sup>13</sup>.

<sup>1</sup> سورة البقرة، آية 85.

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 174.

<sup>3</sup> سورة النساء، الآيات 168-169.

<sup>4</sup> سورة فاطر، آية 39.

<sup>5</sup> الرعد 14، الإسراء 60/82، القصص 84، النمل 90...

<sup>6</sup> ينظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987/1407، ص 291.

<sup>7</sup> الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص335.

<sup>8</sup> ينظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، ص 291.

<sup>9</sup> الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 330.

<sup>10</sup> ينظر: الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 54.

وتتبيّن فعالية (إنّما) في آيات العذاب من خلال المثالين الآتيين:

• قال -تعالى-: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}<sup>1</sup>

يكشف القولُ عن مصيرِ الظّالمين والباغين بغيرِ الحقِّ (المعتدين على ما خلق الله على الأرض للمنفعة العامّة)، ويؤكدّه، عبرَ قصرِ العذاب (السبيل) عليهم -على الظّالمين والباغين- بأداةِ القصر (إنّما)، ولَمَّا قُصرَ السبيلُ على الظّالمين والباغين استلزم ذلكم نفيه عن غيرهم ممّن انتصروا بعد ظلمهم (أي من أخذ حقه ممّن بغى عليه). وهكذا تكون (إنّما) قد حدّت من تعدّد الاستلزمات الخطابية، وعملت على تقوية توجيه الخطاب نحو غايته في التأكيد على قصر العذاب على الظّالمين والباغين دون أولئك المنتصرين على من ظلمهم.

ولولا وجود إنّما في الخطاب، لكان القول كالتالي:

• السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحقِّ

وإنّ هذا القول يختلف عن السابق الذي دخلت عليه (إنّما)؛ إذ يحتمل غيرَ تأويل، فتتعدّد استلزاماته، ذاك أنّه يمكن لظانٍّ أو شاكٍّ في الخبر أن يدخل الذين ينتصرون على من ظلمهم في حكم الخبر، فيظنّ أنّهم سيعذبون كالظّالمين بغير الحق. إلّا أنّ سوقَ الملفوظِ مقصوراً بـ(إنّما) دحضَ كلّ احتمالٍ غيرَ ما جاء هو به.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "القصر المفاد بـ (إنّما) تأكيد لمضمون [آية] [فأولئك ما عليهم من سبيل]<sup>2</sup> لأنّه كان يكفي لإفادة معنى القصر أن يقابل نفي السبيل عن الذين انتصروا بعد ظلمهم بإثبات أنّ السبيل على الظّالمين، لأنّ إثبات الشيء لأحد ونفيه عمّن سواه يفيد معنى القصر...<sup>3</sup>".

<sup>1</sup> سورة الشورى، آية 42.

<sup>2</sup> الشورى، آية 41.

<sup>3</sup> ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج25، ص178.

ومما يمكن التنبيه عليه في هذا المقام، أنّ المقصود بالظالمين في الآية كلُّ الظالمين، سواء أكانوا ممن يظلم المسلمين من المشركين، أم من المسلمين الذين يظلمون إخوانهم من المسلمين، وأنَّ السبيل هو عقاب الآخرة من العذاب الأليم.<sup>1</sup>

• قال -تعالى-: {إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}<sup>2</sup>

يُقصد من ضمير الغيبة في الخطاب القرآني هنا الشيطان؛ إذ جاء ذا الخطاب في مقام التحذير من اتباع الشيطان؛ لأنه عدوٌّ للإنسان، والعداوة قائمةٌ بينهما إلى قيام الساعة.<sup>3</sup>

ورغبةً في تأكيد العداوة بين الشيطان والإنسان، وزيادةً في التحذير من اتّباعه؛ قصر الخطابُ الغايةَ من دعوة الشيطان للإنسان لاتباعه على رغبته في عذابهم وجعلهم من أصحاب السّعير بواسطة العامل (إنّما)، الذي زاد من قوّة القول في توجيه المخاطب نحو الحذر من اتّباع الشيطان عندما أكد أنّ هذه غايته الوحيدة، فلا يتوهم أحدٌ أنّ له غايةً غيرَ التي قُصر القول عليها.

• النّفي

لإبراز آليّة الاشتغال الحجاجي لعامل النّفي في آيات العذاب أعرض المثالين الآتيين:

• قال -تعالى-: {وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ}<sup>4</sup>

يشير وجودُ النّفي في الخطاب، إلى وجود صوتٍ آخرٍ غيرِ صوت المتكلّم، ذاك الصّوت يتبنّى وجهةَ نظرٍ تخالفُ وجهةَ نظر المتكلّم، إلّا أنّ صوت المتكلّم هو الذي سيحظى بنتيجة الخطاب؛ ذلك لأنّ عامل النّفي قد دخل على وجهة نظره، ما أكسبها طاقةً حجاجيّةً عاليةً جعلتها تدفع كلّ قولٍ يخالف قولها وتقضي عليه؛ لتجبرَ الآخر على القبول بخبرها والإذعان لها.

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 25، ص 178-179.

<sup>2</sup> سورة فاطر، آية 6.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج 22، ص 118.

<sup>4</sup> سورة هود، آية 113.

أما المتكلم فهو المولى \_ عزّ وجلّ \_، يقرّر بأنه:

- لا أولياء، ولا نصر لمن يركن للظالمين<sup>1</sup>

ولمّا كان خبره منفيّاً أشار إلى وجود رأيٍ ضمنيّ يقتضي عكسَ رأيه (إثباته)، وهو صوت من يركن للظالمين حيث اعتقادهم:

• لنا أولياء وناصرون

ولكنّ صوت المتكلم \_ بفضل الطّاقة الحجاجية العالية لعامل النّفي \_ يدحض هذا الاعتقاد ويردّ عليه نافيّاً له مبطلًا لمحتواه، ومتجّهًا بالخطاب نحو نتيجة واحدة مفادها: لا أولياء من دون الله ولا نصر لمن يركن إلى الظالمين.

• قال -تعالى-: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}<sup>2</sup>

يتضمّن صوت النّفي في الخطاب صوتاً آخر مثبتاً؛ جاء النّفي لإكذابه وإبطاله، موجّهاً المخاطبين إلى التسليم بأطروحته والخضوع لها؛ إذ لا مجال لردّ سلطة النّفي الحجاجيّة فهي أقوى سلطةً من غيرها من الأقوال الإثباتيّة.

جاء خطاب النّفي مقرّراً بأنه: لا خروج لأهل النار \_ المقصودين من الخطاب \_ منها، داحضاً بذلك صوت المخالفين الذين يدّعون بأنهم: خارجون من النار، مجبراً المخاطبين والمتلقّين جميعاً على القبول برأيه موجّهاً إيّاهم نحو النتيجة التي أرادها هو.

ولا يقتصر ورود النّفي في آيات العذاب على المثاليين السّابقين؛ إذ يزخر القرآن الكريم في خطابه عمومًا وفي خطاب العذاب خصوصًا بالنّفي<sup>3</sup>، ولا يمكن لقارئ يقرأ القرآن أن يغفل عن أمثلة النّفي الكثيرة في آيات العذاب وغيرها.

<sup>1</sup> عُرّف المقصود من الخطاب في الآية من الآية نفسها كاملة: "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون" (هود/113).

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 167.

<sup>3</sup> خذ مثلاً: البقرة 48 / 123 / 124 / 162 / 206، المائدة 64، الأنعام 20-21، النساء 116، الأعراف 148..



في الختام، يمكن القول إنّ الروابط والعوامل الحجاجيتين هما أساس التّأليفات الخطابيّة في خطابي الرّحمة والعذاب؛ فهما ينبئان بكثرة في الآيات؛ حيث شكّلت الروابط الحجاجيّة روابط تجمع بين الحجج، وبين النّتائج، أو بين الحجج والنّتائج، وربّما يكون (الواو) هو أكثر الروابط انتشاراً في الخطاب القرآني برحمته وعذابه؛ لما يقوم به من دورٍ في ترتيب الآيات وانسجامها، وكذلك فورود (الفاء) كثير أيضاً؛ لعلّ السّبب يرجع إلى كثرة الشّرط في الخطاب (فإن أردتم... فافعلوا، أو إن فعلتم... فلكم)، وليست كثرة انتشار الواو والفاء تعني أنّ غيرهما قليل في الخطاب، بل كلّ في مكانه، حسبما تقتضيه الغاية الخطابيّة.

كما قامت العوامل الحجاجيّة بدورها في الحدّ من الاحتمالات الحجاجيّة، والتّركيز على غايةٍ واحدة يسعى إليها الخطاب، ويكاد يكون النّفي أقوى العوامل في تحقيق ذلك؛ لما يمتاز به من سلطة حجاجيّة عالية تقضي على كلّ حجاجٍ يناقض وجهتها، وقوّة النّفي لا تقلّ من قوّة غيره من العوامل؛ حيث تقوم العوامل كلّها بدورها الحجاجي الذي يسمح بالحجاج لصالح النّتيجة التي يتوجّه هو إليها، ولكن كلّ في سياقه.

## الفصل الثالث

# السّلام الحجاجيّة في آيات الرّحمة والعذاب

## الفصل الثالث

### السّلام الحجّاجيّة في آيات الرّحمة والعذاب

#### السّلام الحجّاجيّة

لعلّه من الصّواب القول إنّ هذا المبحث من أهمّ مرتكزات نظريّة الحجّاج في اللّغة؛ إذ من خلاله تتجلّى آليّة عمل الحجّ وصولاً إلى النّتيجة التي يتوخّى المرسل إيصالها إلى المتلقّي؛ فهو يرتكز على إقرار التّلازم في العمليّة الحجّاجيّة بين القول الحجّة والقول النّتيجة، وذلكم يعني أنّ "الحجّة لا تكون حجّة بالنّسبة إلى المتكلّم إلّا بإضافتها إلى النّتيجة مع الإشارة إلى أنّ النّتيجة قد يصرّح بها وقد تبقى ضمنيّة"<sup>1</sup>، كما تتكئ نظريّة السّلام الحجّاجيّة على مبدأ التّدرّج، التّدرّج في الحجّاج من حيث القوّة والضعف، ذلك أنّ الحجّاج لا تتساوى قوتها في دعمها النّتيجة، يقول (ديكرو) عن السّلميّة إنّها: "الخاصيّة الملتنصّقة بالظواهر اللّغويّة التي تنهض على مبدأ التّدرّج، وتسمح بالتموضع على محور متدرّج وموجّه، وله مستوى (نقطة أو مجال بلغة الرياضيات) محدّد بسياق جُمليّ أو، في بعض الاستعمالات، باعتبارات تداوليّة، مع أخذ التّمثّلات المشتركة بين المخاطبين بعين الاعتبار"<sup>2</sup> فتتدرّج الحجّاج في سلّم حجّاجيّ يبدأ من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى؛ لتتنافس الحجّاج فيما بينها على التّرتيب حتّى تفوز الحجّة الأكثر إقناعاً، قوّة، بأعلى مراتب السّلم وتثبت فيه؛ إذ كلّما كانت الحجّة أقرب إلى النّتيجة كانت أقوى وأشدّ وقعاً في نفس المتلقّي<sup>3</sup>.

ويجعل الشّهري أساس فعل الحجّاج في: "تدافع الحجّاج وترتّبها حسب قوتها، إذ لا يثبت، غالباً، إلّا الحجّة التي تفرض ذاتها على أنّها أقوى الحجّاج في السّياق. ولذلك يرتّب المرسل الحجّاج التي يرى أنّها تتمتع بالقوّة اللّازمة التي تدعم دعواه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المبخوت، شكري، نظرية الحجّاج في اللّغة، ص 363.

<sup>2</sup> أمغار، إبراهيم، سلمية الأسوار بين التّصويرين المنطقي والتداولي، بحث منشور ضمن مجلة مدارات، ع1، 2018، ص 33.

<sup>3</sup> ينظر: الأسدي، مسلم مالك، والغزالي، مروة خضير، الحجّاج اللّغوي في السور القصار (السّلام الحجّاجيّة مثالا)، مجلة الباحث، ع: 33، 2019، ص299.

<sup>4</sup> الشّهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطّاب، ص 499-500.

وما دامت الحجج مجتمعةً في سلمٍ حجاجيٍّ واحد؛ فبالضرورة ستكون منتميةً إلى فئة حجاجية واحدة؛ لأنّ السلم الحجاجي لا يمكن أن يتسع لغير أطروحة، قضية، إما مؤيدة وإما معارضة، وإن كان تمّ إثباتٌ وآخر تعارض انفرد كلُّ منهما بسلم حجاجيٍّ، وتفاعل الاثنان -أي السلمان- في زيادة الفاعلية الإقناعية في المخاطبين، وهذا ما قصده الباحث عمر إذ قال: "لا يحمل السلم الحجاجي قضيتين متعارضتين دفعة واحدة أو أكثر، وإنما يكتفي بأطروحة واحدة مؤيدة أو معارضة، مثبتة أو مفندة، وتنخرط القضايا الأخرى ضمن سلال حجاجية أخرى منتظمة في مسار واحد، فتنشأ صياغة سلمية مقارنة مشتركة في نتيجة واحدة سابقة أو لاحقة بأقوالها الموجهة، ويؤدّي عرض جملة من السلال فاعليةً في المستقبلين عوض تقديم سلم واحد مؤيد أو معارض"<sup>1</sup>.

وعليه، فإنّ استعمال السلم الحجاجي يهدف إلى استمالة المخاطب إلى النتيجة، وإقناعه من أجل تغيير رأي أو تعديل سلوك، عبر البناء الحجاجي للسلم، الذي يتوصّل به إلى النتيجة من خلال مساره التصاعدي، وارتقائه ضمن فئة حجاجية واحدة.<sup>2</sup>

وقد عرف الباحثون العرب السلم الحجاجي، منهم العزاوي الذي عرفه بأنّه: "علاقة ترتيبية للحجج"<sup>3</sup>، وعبد الرحمن الذي عرفه بقوله: هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين الآتيين:<sup>4</sup>

أ. كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب. كلّ قول كان في السلم دليلاً على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبةً دليلاً أقوى عليه.

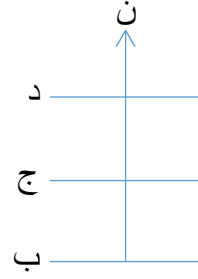
<sup>1</sup> عمر، غمشي، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء في القرآن الكريم أنموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر\_3، 2010-2011، ص 172.

<sup>2</sup> ينظر: صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجج التداولي والبلاغي تنظيم وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1 1436-2015، ص 120.

<sup>3</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 20.

<sup>4</sup> عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان، ص 277.

ورمزوا له بالرمز الآتي:<sup>1</sup>



شكل (21): مخطط يظهر الرمز العام للسلم الحجاجي

ن = النتيجة، (ب) و (ج) و (د): حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

صاغ (ديكرو) قوانين ثلاثة للسلم الحجاجي، على النحو الآتي:<sup>2</sup>

1. قانون النفي (تبديل السلم): يقتضي هذا القانون أنه إذا كان القول حجةً تخدم نتيجة معينة، فإن نفي هذا القول يخدم نتيجةً مضادة، أي: إذا كان (أ) ملفوظاً يؤدي إلى النتيجة (ن)، فإن نفيه (ليس أ) سيؤدي إلى النتيجة (لا-ن).

مثال:

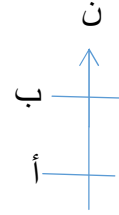
• زيد مجتهد؛ لقد نجح في الامتحان.

• زيد ليس مجتهداً؛ لم ينجح في الامتحان.

2. قانون القلب: يعدّ هذا القانون متمماً للقانون السابق، ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، أي أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في دعم نتيجة ما، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في دعم النتيجة المضادة. ويمكن التمثيل لهذا القانون بالصيغة الرمزية الآتية:

<sup>1</sup> العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 20.

<sup>2</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج. 23-25، عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان، 277. الراضي، رشيد، مدخل إلى الحججيات اللسانية، 118-122. ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، 149-151.



شكل (22) مخطط رمز سلم الأقوال المثبتة



شكل (23) مخطط رمز سلم الأقوال المنفية

ويُتَّضح القانون بالمثال الآتي:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى على الدكتوراه. (في التّدليل على كفاية زيد العلميّة)
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير. (في التّدليل على عدم كفايته العلميّة)

3. قانون الخفض: يقتضي هذا القانون أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السّلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها، وأنّ تراتب الحجج قد يتعدّل أو يتغيّر من حين لآخر حسب تدخّل عوامل معيّنة وحسب المدلول وقوّته، فقد يتغيّر الموقف من حجة ما تعدّ صادقة بعد أن كانت كاذبة، والعكس صحيح<sup>1</sup>، وبألفاظٍ أخرى، فهو يعني أنّ تراتبيّة الأقوال إن كانت من الأضعف إلى الأقوى (من الأسفل إلى الأعلى) فإنّ نقيضها يكون من الأقوى إلى الأضعف<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجج التداولي والبلاغي، ص 119.

<sup>2</sup> ينظر: عرابي، محمد، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، أطروحة ماجستير، جامعة السانية وهران،

2008-2009، ص 40.

## السّلام الحجاجيّة في آيات العذاب

قبل الولوج في الحديث عن السّلام الحجاجيّة في آيات العذاب، لا بدّ أن أنبّه إلى أنني خالفتُ التّرتيب الذي أسير عليه من البدء في تحليل آيات الرّحمة، فبدأت بآيات العذاب؛ وذلك لأنّ غالبيّة مواضع السّلام التي استشهدتُ بها كان سلّم العذاب فيها يسبق سلّم الرّحمة، وإن كانت العادة في أسلوب القرآن أن يذكر الرّحمة ثمّ العذاب كما في قوله -تعالى-: { نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ }<sup>1</sup>، إلّا أنّ تلكم المواضع اقتضت البدء بذكر العذاب زجرًا وترهيبًا، فقد كانت مواضع إنكار وجود.<sup>2</sup>

إنّ الخطاب القرآنيّ عليمٌ بطبيعة النّفس البشريّة، ما تحبّه وما تعافه؛ لذلك جاء خطابه ملائمًا لتلك الطبيعة، متدرّجًا في فعله الحجاجيّ بما يسترعي انتباه المخاطب ويحفّز ذهنه استعدادًا لإيقاع أشدّ الأثر في نفسه، وذلك في أثناء تصاعد الخطاب نحو النّتيجة، خاصّة إن كانت الحجج المدعومة للخطاب متساوقةً مرتبّةً في فئة حجاجيّة واحدة، بحيث تؤديّ إلى النّتيجة المتغيّاة بغير التّباس.

وفي خطاب العذاب في القرآن الكريم لا بدّ أن تُوظّف الوسائل الفاعلة في التّرهيب من هذا العذاب، وينتظم الخطاب بشكلٍ يدفع المخاطب إلى اجتناب ما سيؤقعه فيه، ويحثّه على فعل الصّالحات؛ وحتىّ يكون التّرهيب من العذاب في أعلى مستوياته لعلّ عاقلًا يعتبر ويتعظّ تدرّجت الحجج في خطاب العذاب بما يترك أكبر الأثر في النّفس، كما في قوله -تعالى- في سياق الإخبار بمصير الطّاغين الذين أنكروا البعث وكذّبوا القرآن وتجاوزوا الحدّ في العدوان، للتّرهيب

<sup>1</sup> سورة الحجر، الآيات 49\_50.

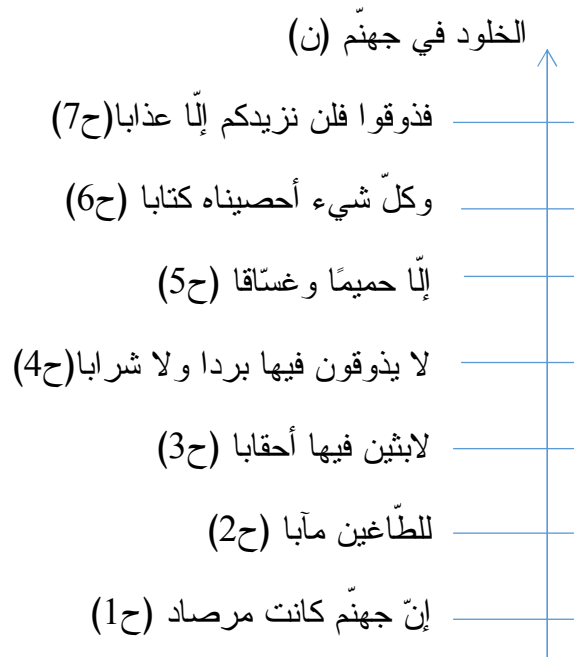
<sup>2</sup> ينظر: الزركشي، أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، نسخة إلكترونية منقحة، النوع السادس والأربعون، في أساليب

القرآن وفنونها، ص 140. [http://www.al-](http://www.al-eman.com/)

eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D9 D8%B1%D9%87%D8%A7%D9%86%D9%81%D9%8A%D8%B9%D9%84%D8% %85%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86(%D9%86%D8%B3 D9%82%D8%A7%D8 AE%D8%A9%D9%85%D9%86%D9%82%D8%AD%D8%A9)/% B9%D8%AF%D8%A9:%D9%81%D9%8A%D8%B0%D9%83%D8%B1 %D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D8%A9 %D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B0%D8%A7%D8%A8%D9%81%D9%8A%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9 %86:/i939&d1184481&c&p1 - s1184481

من الوقوع في فعلهم خشية الإصابة بعذابهم:- {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَابَا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وَفِاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)}<sup>1</sup>

ترجبت الحجج في هذه الآيات في سلم حجاجي يمكن تمثيله بهذا النحو:



شكل (24): مخطط السلم الحجاجي في سورة النبأ 21-30

بدأ السلم الحجاجي بذكر المكان الذي سيصير إليه الطَّاغون، وهو جهنم، دار العذاب في الآخرة، الأمر الذي يبعث النفور والرَّهبة في النفس منذ بداية الخطاب، ولم يكتف الخطاب بذكر المكان بل جعله مرصاداً (مكاناً للرصد والمراقبة)، فهو يترقب من سيدخله فلا يفلت أحدٌ منهم<sup>2</sup>، بحيث تزيد الحجَّة في ذاتها وفي الخطاب قوَّة حين تنفي في نفس من تسوَّل له نفسه من الطَّغاة احتماليَّة نجاته، ثمَّ يصعد السلم درجةً فيأتي بحجَّة تقوى الأولى في التَّنفير والتَّرهيب من هذا المصير؛ إذ بعد أن جعل جهنم مكاناً لترقب الطَّغاة جعلها مآباً لهم، أي: هي مسكنٌ ومستقرٌّ لهم<sup>3</sup>، فلن

<sup>1</sup> سورة النبأ، الآيات 21-30.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج30، ص31.

<sup>3</sup> ينظر: السابق، ج نفسه، ص32.



يصلوها حسب، بل سيستقرون فيها، وفي هذا تقوية للرّهبة والخوف في نفس المخاطب فتقوى درجة التأثير فيه عندما يعلم أنه لا نهاية لهذا العذاب، ثم يتضاعف الرعب وتعلو درجته مع صعود الدرجة الثالثة في السلم، التي تؤكد استقرار الطّاعين في جهنّم وخلودهم فيها، يقول ابن عاشور في تفسير آية **لابئين فيها أحقاباً**: " واللابث: المقيم بالمكان... وأحقاب: جمع حقب - بضمّتين -، وهو زمن طويل نحو الثمانين سنة... وجمعه هنا مراد به الطّول العظيم ؛ لأنّ أكثر استعمال الحُقب والأحقاب أن يكون في حيث يراد توالي الأزمان، ويبين هذا الآيات الأخرى الدّالة على خلود المشركين، فجاءت هذه الآية على المعروف الشائع في الكلام كناية به عن الدوام دون انتهاء وليس فيه دلالة على أنّ لهذا اللّبث نهاية...<sup>1</sup>، فمع زيادة التأكيد على الخلود في جهنّم يتعمّق أثر الخطاب في نفس المخاطب.

يستكمل الخطاب القرآنيّ بناء تلكم الصّورة المهيبّة، عبر الارتقاء في السلم للحديث عن حال الطّغاة في جهنّم، حيث الحرّ والعطش والتّوق إلى البرد والشّراب، فيفاجئهم بأنّه لا برد لهم يخفّف حرّ عذابهم ولا شراب يروي ظمأ عطشهم، لتبلغ الصّورة في النفوس مبلغها من التأثير؛ حيث يشتغل السلم منذ بدايته على التّنفير والترهيب من هول هذا المكان، ثمّ يجيء الاستثناء بعد نفي البرد والشّراب عنهم -عن الطّاعين- (إلّا حميماً وغساقاً) ليعطيهم أملاً أنّه ثمّ خلاصٌ من الحرّ والعطش، أو أنّ هناك ما سيقى حرّهم ويروي ظمأهم، فيأتي ما بعد إلّا مخيباً آمالهم، ليفعل فعله في النفس بالغاً فيها ذروته من الحسرة والتّأكيد والهلع، فلن يذوقوا فيها برداً ولا شراباً، إنّما "يذوقون الحميم\* إذ يراق على أجسادهم، والغساق\* إذ يسيل على مواضع الحرق فيزيد ألمهم"<sup>2</sup>، وقد بيّنت الآيات أنّ عذابهم جاء موافقاً لأعمالهم؛ إذ كشفت أنّ ما سيحلّ بهم من العذاب سببه إنكارهم البعث وتكذيبهم القرآن، ويُسْتَأْنَف التّدريج في السلم بما يضمن استمرار بناء الصّورة المنفّرة ويقوّي فاعليّتها في نفس المخاطب، وذلكم بإعلام المخاطبين أنّ الله لا يخفي عليه شيء، ولن يغيب عنه أيّ ممّا فعلوا، ليحاسبهم به جميعاً، وأخيراً، يصعد السلم إلى آخر درجة فيه

<sup>1</sup> الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 33.

\* الحميم: هو الماء الحار (ابن منظور، لسان العرب، مادة (حمم)، دار صادر، ج 12، ص 153)، والغساق: ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم. (ابن منظور، لسان العرب، مادة (غسق)، دار صادر، جزء 10، ص 289)

<sup>2</sup> الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 34.

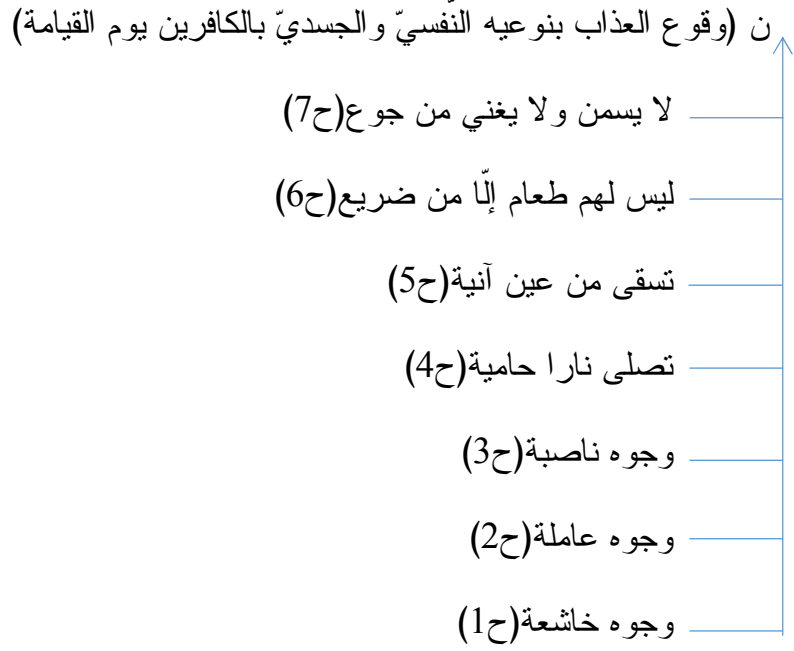
ليصلَ معها إلى النتيجة الحتمية التي سيؤول إليها الطغاة وهي الخلود في نار جهنم، وقد تمتلّت حجة الدرجة الأخيرة في السلم، الحجة الأقوى، بقوله -تعالى-: "فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً"، فلن يكون مصيرهم إلا عذاباً فوق العذاب، وفي هذا دليل على استمرارية عذابهم أبداً، ويفسر ابن عاشور هذه الآية بقوله: " والمعنى: فسزيدكم عذاباً زيادة مستمرة في أزمنة المستقبل، فصيح التعبير عن هذا المعنى بهذا التركيب الدقيق؛ إذ ابتدئ بنفي الزيادة بحرف تأييد النفي وأُردف الاستثناء المقضي ثبوت نقيض حكم المستثنى منه للمستثنى فصارت دلالة الاستثناء على معنى: سنزيدكم عذاباً مؤبداً. وهذا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده وهو أسلوب طريف من التأكيد؛ إذ ليس فيه إعادة لفظ، فإنّ زيادة العذاب تأكيد للعذاب الحاصل. ولما كان المقصود الوعيد بزيادة العذاب في المستقبل جيء في أسلوب نفيه بحرف نفي المستقبل، وهو (لن) المفيد تأكيد النسبة المنفية، وهي ما دلّ عليه مجموع النفي والاستثناء، فإنّ قيد تأييد نفي الزيادة - الذي يفيد حرف (لن) في جانب المستثنى منه - يسري إلى إثبات زيادة العذاب في جانب المستثنى، فيكون معنى جملة الاستثناء: سنزيدكم عذاباً أبداً، وهو معنى الخلود في العذاب"<sup>1</sup>، وهكذا يكون للحجة الأخيرة الأثر الأكبر في الوصول إلى نتيجة الخطاب.

كما يبرز السلم الحجاجي لخطاب العذاب في المشهد الذي يصور وجوه الكفار وحالهم يوم القيامة في سورة الغاشية في قوله -تعالى-: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (6) نَا يُسْمِنُ وَكَأ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7)}

<sup>1</sup> الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 42.

<sup>2</sup> سورة الغاشية، الآيات 2-7.

يمكن بناء السلم الحجاجي لبنية هذه الآيات كما يأتي:



شكل (25): مخطط السلم الحجاجي في سورة الغاشية 2-7

يتوفر هذا السلم الحجاجي على مجموعة من الحجج تطمح إلى الارتقاء إلى الغاية نفسها؛ لذلك فقد انتظمت الحجج وترتبت فيما بينها ضمن استراتيجيّة حجاجيّة واحدة بشكل يسمح لها بالوصول إلى غايتها، فاحتلت الحجج الأدنى قوّة المراتب الأولى من السلم، وصعدت الحجج الأعلى قوّة المراتب العليا منه.

ولما كانت النفس تتوق إلى العزّة والراحة والاستقرار، بنى السلم درجاته الأولى بحجج تنبئ عن صفات تنافي تلك الصفات (العزّة والراحة والاستقرار)، حيث الذلّ والعمل الشاق والتعب بدلاً منها؛ لينفّر ممّا يجرّ المرء إليها، ويدفعه إلى العمل الذي يجنبه إيّاها.

تلك الصفات الثلاث التي ستكون نصيب الكافر يوم القيامة، ترسم صورة من العذاب النفسي التي تبعث النفور في النفس، وقد ابتدئت الصورة بوصف وجوه الكافرين والإخبار عنها أنّها خاشعة (ذليلة)، وفي خشوع الوجه إشارة إلى خشوع صاحبه، إذ الوجه يكشف عمّا يلاقيه صاحبه من نعيم أو شقاء، ثمّ أتبعَت الصورة الخبر الأول بخبرين آخرين ارتقيا درجتي السلم الثّانية والثالثة -فزادا نفور النفس من الصورة التي ترسمها الآيات لحال الكافر يوم القيامة-

هما: العمل الشاق والنصب، وبهذين الخبرين اكتملت صورة العذاب النفسي التي تعرض بأهل الشقاء يوم القيامة، مذكّرة بأن ما أصابهم ليس إلا نتيجة إغفالهم الخشوع لله والعمل بما أمر به والنصب في القيام بطاعته في الحياة الدنيا؛ فجازاهم بالخشوع والمذلة والعمل الشاق والنصب يوم القيامة.<sup>1</sup>

وفي طريقه لتحقيق غايته بالترهيب والتنفير من العذاب والشقاء يوم القيامة، يشقّ السلم مرتبةً رابعة يمزج فيها العذاب الجسديّ بالعذاب النفسي؛ مما يزيد الفرع والترهيب في نفوس المخاطبين، ليترك فيها الأثر الذي يحفزهم على بذل الجهد في سبيل النجاة من هذا العذاب، ويبدأ العذاب الجسديّ بإلقائهم في نار جهنّم، وقد ضاعفت الحجة بألفاظها من حرّ هذه النار، فهي لما أتت بلفظ (تصلى) اقتضت ضمناً إصابته بحرّ النار؛ لأنّ " صلى يصلى يقال إذا أصابه حرّ النار"<sup>2</sup> والحال أنّ الآية عندما أردفت (ناراً) بـ(تصلى) زادت الحرّ حرّاً، فازداد معها التهويل والرعب، ثمّ تجاوز الأمر الحدّ وبلغ التهويل القمة بوصف النار بـ (حامية)؛ ذلكم أنّ الحمى من لوازم ماهية النار<sup>3</sup> فكان وصفها به مجاوزاً للحدّ المعروف، ودليلاً على شدة الحمى، ومع شدة هذه الحرارة يشتدّ أثر العذاب في النفس.

ولأنّ الخطاب القرآنيّ خطابُ الله، خالق النفوس العالم بفكرها وحالها، فيعلم أنّها ستتطّلع بعد حرّ النار إلى ما يطفئ لهيبها، ويخفض حرّها؛ جاء بعد ذكره حرّ النار الهائل بذكر السقيا، ليطمعهم بالنجاة، لكنّ السقيا ستكون سقيا عذاب لا سقيا نجاة؛ إذ هي شراب من عيون آنية (شديدة الحرارة)<sup>4</sup> لا تعالج حرّهم وآلامهم بل تقوي آثارها وتضاعفها؛ وتضاعف معها حدة الألم النفسيّ الذي يبلغ بالأعصاب حدّ التلف بعد أن أمّلتها ثمّ قابل أمّلتها بالخيبة والخذلان، ومع وصول الصورة هذا المشهد المهيب من عذاب الكافرين، وارتفاع حدة الحجج وقوتها في تصويره يُلاحظ أنّ الترهيب قد وصل درجاتٍ عليا في النفس؛ ليصل مع آخر مرتبتين في السلم أقوى درجاته؛

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج30، ص 262.

<sup>2</sup> السابق، ج نفسه، ص263.

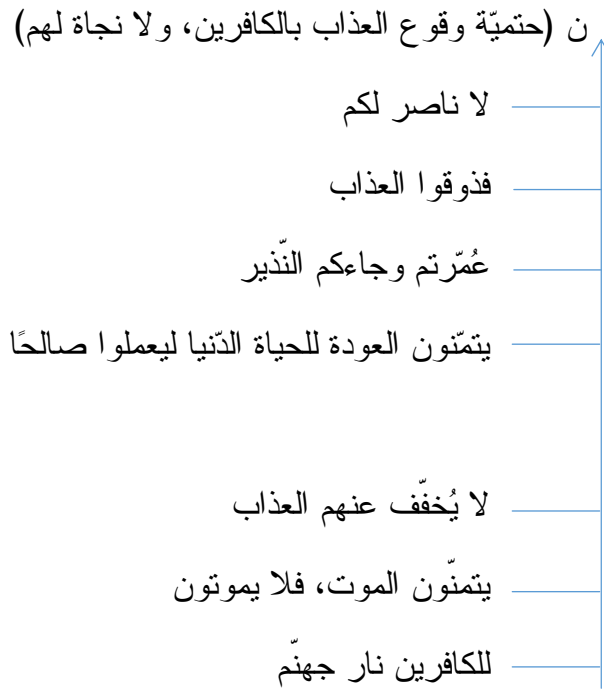
<sup>3</sup> السابق، ج نفسه، ص نفسها.

<sup>4</sup> السابق، ج نفسه، ص نفسها.

حين ينفي الطَّعام الذي يغني عن الجوع عن الكافر بعد أن نفى عنه الشَّراب الذي يقيه الحرَّ؛ فلا طعام لهم غير الطَّعام اليابس ذي الأشواك، الذي لا يسدُّ جوعهم ولا يدفع آلامهم، بل هو طعام إيّلام وتعذيب<sup>1</sup>، وبهذا يرتقي السلم القمّة ليؤكد وقوع العذاب بالكافرين يوم القيامة، سواء أكان نفسياً أم جسدياً، لعلّ نفساً تتعظ فتعمل.

وقد جاء سلّم العذاب في الخطاب القرآنيّ على ذكر أمنيات الكافرين وأحلامهم، وهم يصطلون في نار جهنّم، من ذلكم ما أوضحه سلّم العذاب الحجاجيّ في قوله -تعالى-: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)}<sup>2</sup>

فقد تدرّج سلّم العذاب في هاتين الآيتين كاشفاً مصير الأشقياء وحالهم في النار، وذاكراً أمنياتهم مُقنّداً لها، على هذا النحو:



شكل (26): مخطط السلم الحجاجي في سورة فاطر 36-37

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، ج30، ص 263.

<sup>2</sup> سورة فاطر، الآيتان 36\_37.

بدار الكافرين ومقرهم في الآخرة، وما ينطوي عليه من حرق وألم وعذاب، يُفتتح السلم الحجاجي، ثم يخطو للأعلى ليتحدث عن آمال أولئك الكافرين بعد ما لاقوه من حقيقة العذاب؛ إذ يدفعهم عظم الحال الذي هم عليه إلى تمنّي الموت، علّمهم ينالون بعض الراحة، لكن، أنى لهم هذا؟!، فالسلم سيكمل سيره مخيباً آمالهم عندما يجب عنها فينفيها، فلا موت ولا تخفيف من عذاب، إنما عذاب فوق العذاب يجعلهم يحاولون مرّة أخرى فيصرخون طالبين العودة إلى حياتهم الأولى ليعملوا صالحاً غير ما كانوا يعملون، لكنّ السلم يتابع قطع آمالهم؛ فالوقت انقضى، وعمرؤا مدةً في دنياهم جاءتهم فيها النذر لكنهم كذبوا، فلن يعودوا أبداً، وسيستمرّ العذاب.

وإن بقي للكافرين شيء من أمل في النجاة، فإنّ المرتبة الأخيرة في السلم تنفي احتمالية ذلك بنفيها وجود نصير لهم.

وهكذا، فإنّ سلم العذاب قد أكد مصير الكافرين بإحراقهم في النار، ونفى أيّ أمل في نجاتهم، وفي ذلك ترهيب من هذا العذاب، يدفع إلى استغلال الحياة الدنيا قبل أن يأتي على الإنسان يوم يتمنى فيه أمنية أولئك الكافرين.

ويبدأ عذاب المشركين من لحظة احتضارهم، وما يرافق هذه اللحظة من تذكير لهم بسوء أعمالهم، وبإنكارهم ليوم الحساب الذي سيتحقّق فيه وعيدهم بالعذاب في الآخرة،<sup>1</sup> وقد عبّر عن هذا المعنى في آيات من سورة (ق)، ترتبت وتسلسلت -فيما بينها- تدريجياً لتحكي رحلة العذاب التي يمرّ بها المشرك منذ وفاته حتّى إلقائه في نار جهنّم، قال -تعالى-: **{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَتِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا**

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص 228.

يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ  
{(30)}<sup>1</sup>

فهذه الآيات تسلسلت لتكون سَلَمًا حجاجيًا يَصَوِّرُ تحقُّقَ الوعيد بالعذاب حتى قبل دخول النَّار إقامةً واستقرارًا. وقد ابتدئ هذا السَّلم بتقرير تحقُّق المرحلة الأولى من العذاب، وهي مرحلة الموت التي طالما هرب المشركون منها وغفلوا عنها<sup>2</sup>، مؤثرًا -في التعبير عنها- توظيف صيغة الماضي (جاءت) دون المضارع ليبث أولى مراحل الخوف والفرع في نفوس المخاطبين، أن اعملوا، فالأمر حاصل لا محالة، ورحلتكم طويلة، تبدأ من هذه اللحظة التي تنتقلون فيها إلى عالم لم تؤمنوا فيه قبلاً.

ثم ما يلبث السَّلم أن ينتقل إلى رتبة أعلى ينتقل معها إلى المرحلة الثانية من العذاب، وهي مرحلة النَّفخ في الصُّور، وقد سماها القرآن -في خطابه المشركين- بيوم الوعيد، حيث العقاب الأخروي، معمقًا من هول هذا اليوم وفزعه.

وإلى حين استقرار المشرك في جهنم، يمرّ متدرِّجًا بسلسلة من العذاب النَّفسي، يصعد فيها سَلَمَ العذاب وأصلًا قمته؛ ليقف في مصيره الذي كُتِبَ عليه نتيجة جوده.

تبدأ تلك السلسلة بسوق المشركين جميعًا إلى النَّار، فلكل واحدٍ منهم سائق يسوقه إلى ربِّه، وشهيدٌ يشهد على ما قدّمه من عمل<sup>3</sup> ليحاسب ثم يُلقى في النَّار، فيُعلن، تهكمًا، عن غفلته التامة عن هذه اللحظة التي أنكرها في حياته، أمّا اليوم فالغطاء كُشف، والحق ظاهرٌ أمامه، وها هو يقف أمام ربِّ جبار، فيا لروعه ورهيبته! ثمّ يسلمه الملك الموكَّل بعمله إلى ربِّه، شاهدًا على عمله دون زيادة أو نقصان. فيأتي الأمر الإلهي حاسمًا بأنّ " ألقيا في جهنم كلّ كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلهًا آخر فألقياه في العذاب الشديد" مؤكّدًا الفعل بتكراره

<sup>1</sup> سورة ق، الآيات 19-30.

<sup>2</sup> ينظر، تفسير الطبري، تح: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م، ج21، ص428.

<sup>3</sup> ينظر: تفسير الطبري، ج21، ص429.

مرتين، ومضاعفاً حجم العذاب وشدته حين يجعل إلقاءه في النار مرّة، وهي في أصلها حارقة شديدة، ويجعله أخرى في العذاب الموصوف بالشديد، فأَيّ شدة هذه؟ وأيّ عذاب هذا؟

فيا لحسرتهم، ويا لندمهم!

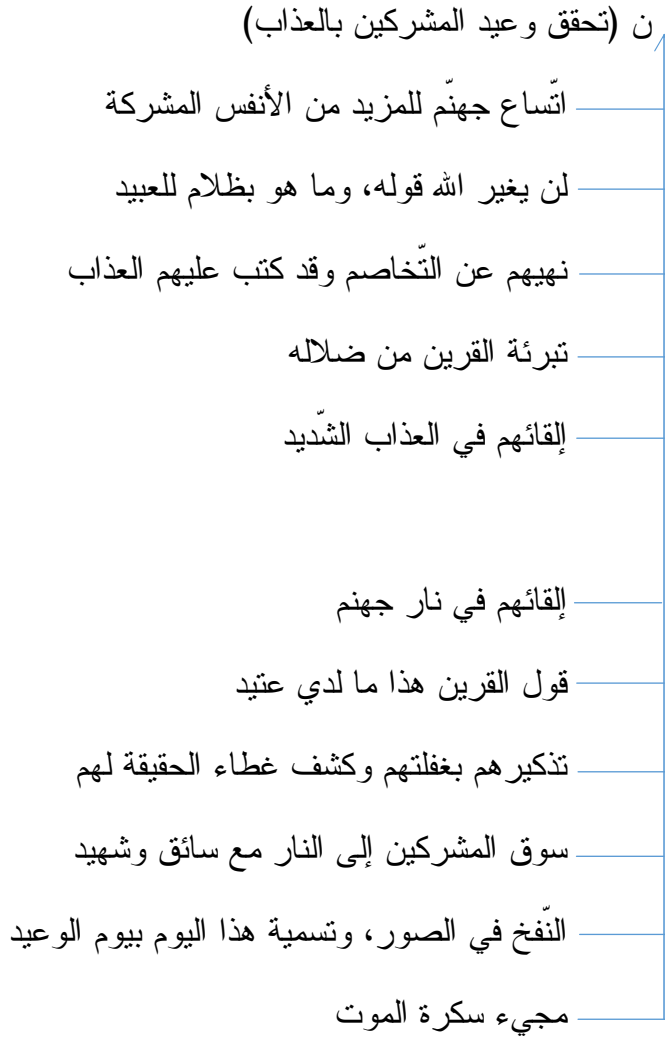
ولن تقف الحسرة عند هذا الحدّ، بل ستتضاعف بارتقاء سلّم العذاب درجةً أخرى يعلن فيها بدء الخصام بين الإنسان وقرينه، فيتبرأ القرين من طغيان ابن آدم وضلاله، فهذا حاله من نفسه، ثمّ يُحسم الخصام بإقراره سبحانه أنّ جزاءهم بالوعيد مقدّم، ولن يبذل القولُ عنده سبحانه، وما هو بظلامٍ للعبيد، فليس الوعيد إلّا جزاء طغيانهم وجحودهم.

ولكثرة ما في النار من النفوس، قد يظنّ أحد المشركين أنّ لا متسع له بها فينجو، لكنّ المرتبة الأعلى من السلم تنبئ أخيراً أنّ جهنّم تتعطّش للمزيد، فكلّمك ستصلونها.

تلکم السلسلة التي يسلكها المشركون، تبين عن مدى صعوبة الجزاء الذي استحقّوه عقاباً على ما قدّموا، وتقف حجةً للتّحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه.



ويتمثل السلم الحجاجي في الخطاب القرآني السابق بالآتي:



شكل (27): مخطط السلم الحجاجي في سورة ق 19-30

وسلام العذاب الحجاجية في القرآن وفيرة وفرة بالغة، لكنّ المقام هنا لا يتسع لتحليل كثير منها؛ لذلك اكتفيت بالأمثلة السابقة، فمن سلام العذاب الحجاجية غير المذكورة في التحليل، على سبيل المثال، قوله -تعالى-: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَنَفَّذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانِ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرِفُ

الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنِ (44) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45)<sup>1</sup>، وقوله: { إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ النَّائِمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (46) خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ }<sup>2</sup>، وقوله: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76) وَتَادُوا يَا مَلَكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ بِالْحَقِّ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) }<sup>3</sup> وغيرها.<sup>4</sup>

### السَّلامُ الحِجَابِيَّةُ فِي آيَاتِ الرَّحْمَةِ

في مقابل مشهد العذاب المتمثل في النار في القرآن ثم مشهداً للنَّعيم يتمثل في الجنة، ولأنَّ الجنة من آثار رحمة الله ودلالاتها<sup>5</sup> فأخال أنني لا أخالف الصَّواب إنَّ استشهدت بآياتٍ تصوِّر نعيمَ الجنة على أنَّها آياتٌ من رحمة الله، ويستدلُّ من القرآن نفسه على أنَّ الجنة من معاني الرَّحمة الإلهية؛ كمعنى الرَّحمة في قوله -تعالى-: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سورة الرحمن، الآيات 31-45.

<sup>2</sup> سورة الدخان، آية 43-50.

<sup>3</sup> سورة الزخرف، الآيات 74-83.

<sup>4</sup> مثلاً: الزمر 71-77، الواقعة 41-57، إبراهيم 15-18...

<sup>5</sup> ينظر: فادة، قاسم، آيات الرحمة في القرآن دراسة لسانية في البنية والمحتوى، مؤتمر الرحمة عن الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية، أحمد بن يحيى الونشريسي نيسميسيلت، الجزائر، 1437-2016، ص 213-214.

<sup>6</sup> سورة آل عمران، آية 107.

وكما كثرت مشاهد العذاب في القرآن، كثرت مشاهد النعيم؛ فإن كان هناك زجر وترهيب للمنكرين المشركين، فهناك ثناء وترغيب للمصدقين المؤمنين، ومن مشاهد النعيم في القرآن ما جاء في قوله -تعالى-: { وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (28) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (29) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (30) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) غُرْبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (39) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40) }<sup>1</sup>، وقوله: { الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) }<sup>2</sup>، وقوله: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتْقَابِلِينَ (53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) لَا يُذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) }<sup>3</sup>، وقوله: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ (21) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28) }<sup>4</sup>... إلخ<sup>5</sup>

<sup>1</sup> سورة الواقعة، آية 27-40.

<sup>2</sup> سورة النحل، الآيات 30-32.

<sup>3</sup> سورة الدخان، الآيات 51-57.

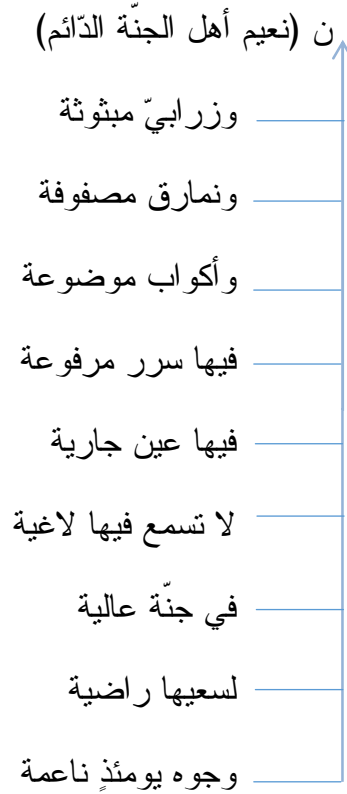
<sup>4</sup> سورة الطور، الآيات 17-28.

<sup>5</sup> منها: الأنفال 2-4، يونس 9-10، الصف 10-12، الرحمن 54-77، الحجر 45-48...

أما مشاهد النعيم التي سأتناولها بالتّحليل فمنها قوله -تعالى-: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)}<sup>1</sup>

بعد أن صوّرت آيات العذاب وجوه الكافرين وحالهم يوم القيامة منذرةً من الوقوع بحالهم، استؤنفت بآيات تصوّر وجوه المؤمنين وحالهم يومئذٍ، لتتبع النذارة بالبشارة، فترتاح النفوس وتألّف، وتحاول البذل والعمل لعلّها تصل إلى حال النعيم بعد هولها من حال الشقاء.

ولنلاحظ تدرّج الخطاب في سيره نحو إقناع مخاطبيه وإغرائهم بنعيم الجنة في السلم الحجاجي الآتي:



شكل (28): مخطط السلم الحجاجي في سورة الغاشية 8-16

<sup>1</sup> سورة الغاشية، الآيات 8-16.

بعد الفزع والإحباط الذي يتملك النفس من خطاب العذاب الحاصل للخاشعة وجوههم، يأتي خطاب النعيم ليطمئن النفس ويحيطها سكيناً وأملاً حين يُعلمها بالثواب الذي ستفوز به إن كان حالها كحال الصنف الآخر من الناس يوم القيامة، أولئك الناعمة وجوههم.

استفتح خطاب النعيم بنعت وجوه المؤمنين بالناعمة، نعت يُذيب الغم الذي استوطن المخاطب عندما صعد درجات السلم في خطاب العذاب، ليستبدل به سكوناً وسكيناً، ويبدأ معه رحلة الهدوء والأمل في ارتقائه درجات هذا السلم النعيمي؛ وقد جمعت لفظة (ناعمة) في معانيها بين نعومة المنظر ونعومة الحال، حيث الرونق وترف العيش، بدل الخشوع والشقاء في السلم المعاكس، ثم يرتقي السلم درجة ثانية يبين فيها أن نعومة الوجه والحال، كانت نتيجة لسعي المؤمنين وبذلهم في الحياة الدنيا حتى أَرْضاهم الله في الآخرة ورضوا بسعيهم، ليبعث الخطاب الرضا في النفس مع شعور السكين، فتزداد المشاعر أملاً وراحةً وشوقاً.

ومن المعلوم أن جزء المؤمن الساعي هو الجنة، لكن الخطاب القرآني لم يكتف بالإخبار أن الجنة هي مقر المؤمنين ومسكنهم، بل وصفها بـ (عالية) فاعتلى حسناتها حسناً؛ إذ إن "أحسن الجنات ما كان في المرتفعات"<sup>1</sup> واعتلت معه درجة الحب والطمع في نيل هذه المكانة التي اختص بها المؤمنون، ثم تابع الخطاب وصف الحال والنعيم في هذا المقر عبر ارتقائه درجات أعلى في السلم، ارتقى معها شوق المخاطب ولهفته في الوصول إلى هذا النعيم.

ولما جمع الخطاب في درجته الثالثة من السلم -حين وصف الجنة بعالية- المحاسن كلها، صعد مرتبةً رابعةً أرف فيها وصف حسن الجنة بوصف حسن سكانها، ذلك عندما نفى عنهم سماع لغو الكلام وبذيئه؛ لأنهم يترفعون عن لغو الكلام الذي لا فائدة منه؛ ف"النفوس فيها تخلصت من النقائص كلها فلا يلذ لها إلا الحقائق والسمو العقلي والخُلقي، ولا ينطقون إلا ما يزيد النفوس تزكية"<sup>2</sup>، ولما انتفى لغو الكلام انتفى تجريح النفس، وهذا يزيد من الرغبة في الإقامة في ظل مكان لا تجريح فيه ولا أذى.

<sup>1</sup> الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 265.

<sup>2</sup> السابق، ج نفسه، ص 266.

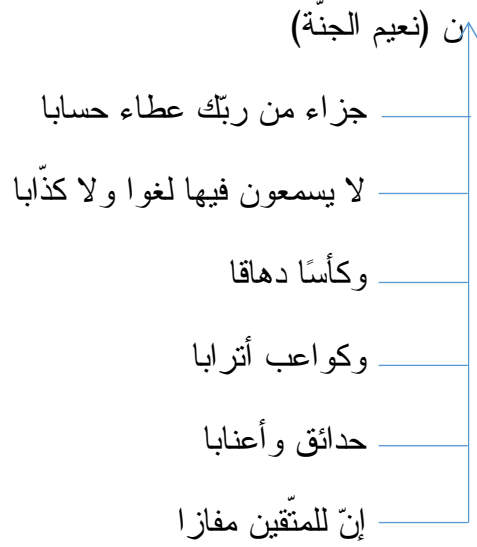
ويستكمل الخطاب تعداد محاسن الجنة لتشمل العيون الجارية، فتستكمل الغبطة لمن سيقطن هذا المكان وينعم بلذته، وكلما ارتقى الخطاب درجة أخرى في السلم ارتقت أمنيات النفس، واعتلت صيحات لهفتها في أن تكون واحدة من المتنعمين بترف هذا المكان، حيث السرر المرفوعة، وأكواب الخمر التي لا توضع من أيديهم فلا تنقطع لذة الشراب عنهم، والوسائد المصفوفة بعضها بجانب بعض، الأمر الذي يولد إحساساً بالألفة والمودة؛ إذ يجلس المؤمنون متجاورين على النمارق والبسط الناعمة الملونة فرحين متحابين.

تلکم الصورة الجميلة التي يصورها خطاب النعيم في نفوس المخاطبين، وتانكا الألفة واللّهفة اللتان يتركهما ويعمقهما كلما اتجه إلى أعلى السلم؛ مؤكداً الترف الدائم الذي ينعم به أهل الجنة، في مقابل الصورة المهيبة التي يصورها خطاب العذاب كلما سار تصاعدياً، تاركاً مشاعر الرهبة والغم والتأكيد في النفس، لتشهد أن العذاب حق، تسعى إلى تحقيق غاية واحدة هي حث المخاطبين وتشجيعهم على العمل والاستكانة لله جلّ وعلا في الحياة الدنيا؛ من أجل الفوز بالنعيم والنجاة من الجحيم في الحياة الآخرة.

وتمثل آيات النعيم في سورة النبأ مشهداً آخر من مشاهد نعيم المؤمنين يوم القيامة، يسير فيها الحجاج تصاعدياً في سلم حجاجي يزداد قوة فيزداد أثراً عندما يرتفع إلى الأعلى، ليصل القمة محققاً غايته الإقناعية في الترغيب بالجنة والترهيب من النار، قال -تعالى-: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا، وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا، جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا}<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> سورة النبأ، الآيات 31-36.

ترتبت الحجج في هذه الآيات في سلم حجاجي يمثله الشكل الآتي:



شكل (29): مخطط السلم الحجاجي في سورة النبأ 31-36

يتضمن السلم مجموعة من الحجج تسير من أدنى السلم إلى أعلاه لتحقيق غاية الخطاب في التأكيد على نعيم المتقين في الجنة وترغب المخاطبين في العمل الصالح الذي يقودهم لهذا النعيم.

وقد شرع الخطاب بتقديم حجة تبشر المتقين بالفوز بالجنة ونعيمها<sup>1</sup>؛ ما يشعر النفس بالراحة والطمأنينة منذ بداية الخطاب، فهي بالجنة على كل حال، ولن تخشى عذابا بعد هذه البشارة، بل ستلهف لتعرف ما ستتعلم به في ظل هذه الجنة، وقد جاءت الحجة مؤكدة بأداة التوكيد (إن) بحيث لن تترك مجالاً لأحد للشك في محتواها.

واختيار الخطاب لفظ (المفاز) يجعل وقع الخبر في النفس أشد؛ حيث يورث شعوراً بالحسرة والندامة في نفس المخاطب الذي لم يعمل لينال هذا المفاز، كما يشعر المؤمن بالفخر والرضى عن أعمالهم التي أوصلتهم لهذه المكانة.

بعد أن جاءت الحجة الأولى فطمأنت المتقين بمفازتهم، ارتقت الحجج الأخرى درجات السلم التالية واصفةً شيئاً من نعيم الجنة، وكلما علا السلم درجة مصوراً صورة من هذا النعيم اعتلت

<sup>1</sup> المفاز: "مكان الفوز، وهو الظفر بالخير ونيل المطلوب، ابن منظور، لسان العرب، مادة (فوز)، ج5، ص392.

والمراد بالمفاز في الآية الجنة ونعيمها"، الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص39.

مشاعر البهجة في صدور المؤمنين، حيث الحقائق والأعقاب التي ترسم في الذهن صورة لكل ما تشتهيهِ الأنفس من أصناف الأشجار والنبات، ثم الكواكب المتساويات في السن<sup>1</sup>، وكؤوس الخمر المملوءة بعد أن كانت ممنوعة عنهم في الحياة الدنيا، لكنه خمر لا يُسبب ما يسببه خمر الدنيا من اللغو والسب<sup>2</sup>، فلا يسمعون في الجنة لغواً أو كذباً، وأخيراً، تأتي الحجة الأعلى لتبين أن صور النعيم تلك ما هي إلا جزاء من الله للمؤمنين، جزاءً كافياً وافياً.

وهكذا تجتمع الحجج وتتنظم في السلم الحجاجي من الأضعف إلى الأقوى لتؤكد نعيم الجنة وثوابها، فتشجع المخاطبين على التقوى والعمل للظفر بهذا النعيم.

ومن رحمة الله بالمؤمنين، ومن عظيم فضله عليهم، أن يسر لهم طريقهم إلى الجنة بحيث لا يتكبدون فيه عناءً أو مشقة؛ حيث تقترب الجنة من المؤمنين فلا يجدون كلفة في الوصول إليها، يقول -تعالى-: **{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)}**<sup>3</sup>.

تتدرج الآيات تصاعدياً راسمةً صورة وصول المتقين إلى الجنة، فتجعل منه طريقاً يسيراً لا عناء فيه ولا مشقة؛ حيث تأتي الجنة إليهم، وتقترب منهم بدلاً من عنائهم في السير إليها، مهُوتةً بذلك على المتقين مشقة طاعتهم في الدنيا؛ إذ إن بلوغ ذلك الطريق اليسير يحتاج هذه المشقة. ثم تبين الآيات أن هذه الجنة هي ما وعد به المتقون، وتعدّد ما اتصفوا به من الأوبة، وخشية الرحمن، والقلوب المنية، حتى استحقوا هذا الوعد، وقد فضل الخطاب القرآني في هذا السياق اختيار اسم الرحمن لله -جلّ وعلا- دون غيره من الأسماء؛ ليعلم أن المؤمن على الرغم من إدراكه لرحمة الله الذي يرحم فيغفر إلا أنه يخشاه فيتقيه، وهذه الميزة لا تكون إلا للمتقين؛ وبذلك تكون الآيات حججاً تحفز المخاطبين على الاتصاف بصفات أولئك المتقين إن رغبوا بنيل ذلك الوعد العظيم.

<sup>1</sup> ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 24، ص 38-39.

<sup>2</sup> ينظر: الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 41.

<sup>3</sup> سورة ق، الآيات 31-35.

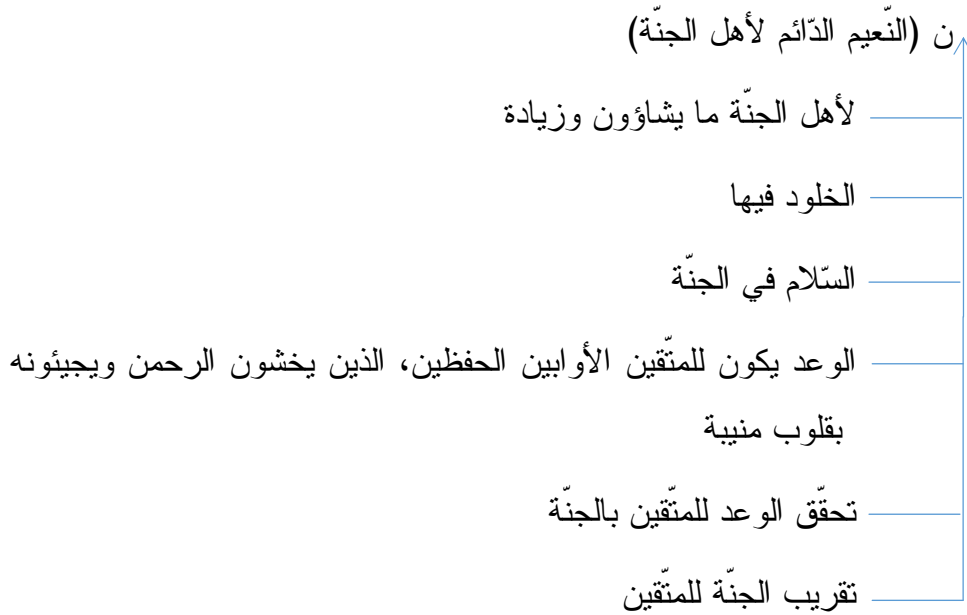


ومزيداً في حسن الطّريق إلى الجنّة، ترتقي الآيات لتأتي بالبشرى للمتّقين بأنّ دخولهم للجنّة دخول سلام، سلام من كلّ ما كانوا يلاقونه في الدّنيا من الهمّ والغضب والعذاب<sup>1</sup>، ثمّ تأتيهم بالبشرى الكبرى بأنّ هذا يوم الخلود، فلا موت أبداً، بل حياة في نعيم وأمان، وليس في ذلك إلّا أرقّ الأحاسيس بالراحة والنّشوة والبهجة.

ولا يقف السّلم عند هذا الحدّ، بل يعلو درجة أخرى يُسكن فيها روح المتّقين حين يخبره أنّ له في الجنّة ما شاء من الملذّات، وأنّ له من المولى -جلّ وعلا- زيادة من النّعم والأجر والجزاء الحسن.

وبكلّ تلك المغريات والبشائر يتقوّى الحافز عند المخاطبين للعمل والتّقوى؛ إذ تشكّل حجّاً تغري النّاس بالتّقوى بغية ارتقاء تلكم المنزلة العظيمة التي وعد الله بها المتّقين.

وترتقي الحجج (الآيات) السّابقة السّلم الحجاجيّ تصاعديّاً كما يأتي:

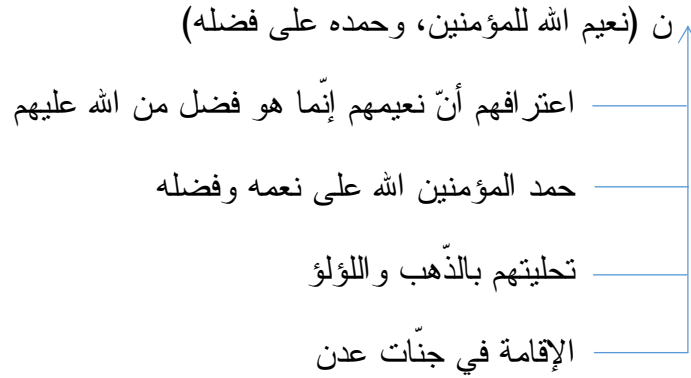


شكل (30): مخطط السّلم الحجاجي في سورة ق 31-35

ومن سلالم النّعيم في القرآن أيضاً سلّم ورد في سورة فاطر، يتمثّل في قوله -تعالى-: {جَنّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَكُلُوفًا وَكُلُوفًا وَكُلُوفًا فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ

<sup>1</sup> ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج 21، ص 453.

لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَنَا  
يَمَسَّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)<sup>1</sup>، ويتخذ الشكل الآتي:



شكل (31): مخطط السلم الحجاجي في سورة فاطر 33-35

يسلك هذا السلم طريقاً يشقّ فيه درجته الأولى مخبراً فيها -كغيره من سلالم النعيم- عن موطن المؤمنين في الآخرة، حيث جنّات الخلد، فتكون أولى درجات النعيم والاستقرار النفسي والجسدي للمؤمنين، ثم يتابع سيره للأعلى يوثق ذلكم النعيم بالتبشير بشيء من صورته، حيث حليّ الذهب واللؤلؤ، واللباس الحريري، وكان هذا قد حرّم عليهم في حياتهم الدنيا<sup>2</sup>، فاستحقّوه ثواباً في الآخرة، وهذا من شأنه أن يُعظم الفرحة في صدور المؤمنين، كما يُكسبهم الرضا والصبر على كلفة العبادات في حياتهم الدنيا.

ويقف السلم في درجتيه الأخيرتين على ردّ المؤمنين على فضل الله عليهم، بأنّ أذهب عنهم الحزن، وجازاهم بجنّاتٍ يقيمون فيها أبداً مترفّين، مستريحين فيها ممّا كان سيصيبهم في الدنيا من النصب واللغوب، فلا عناء ولا إعياء<sup>3</sup>، معترفين أنّ ثوابهم ما كان ليكون لولا رحمة الله وفضله عليهم.

وبهذا، فإنّ سلم النعيم يمثّل سلم السكينة والاستقرار النفسي للمؤمنين، بعد عناء العبادة في حياتهم الأولى.

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآيات 33-35.

<sup>2</sup> ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص 488.

<sup>3</sup> ينظر: السابق، نفسه، ص 489.

وفي النّهاية، يمكن النّظر إلى القرآن كلّه على أنّه سلاّم حجاجيّة، إنّ في الرّحمة والعذاب، وإنّ في غيرهما، فهو لم يأتِ بآية عبثاً، حاشاه، إنّما جاءت آياته كلّها لتقيم الحجج على العباد جميعاً، تحتاج كلّ آية منها، أو مجموعة آيات، في قضيّة ما، أو تشريع معيّن، ولما كان كذلك، جاز وصف بنائه بالسّلام الحجاجية؛ حيث تسير درجاته في طريق واحد نحو غاية واحدة.

الفصل الرَّابِع

الاستعارة الحجاجية

في آيات الرَّحمة والعذاب

## الفصل الرابع

### الاستعارة الحجاجية في آيات الرّحمة والعذاب

#### الاستعارة الحجاجية

حظيت الاستعارة باهتمام البلاغيين واللغويين قديماً وحديثاً؛ لما لها من دورٍ فعّالٍ في خطاباتنا، الأدبية منها واليومية، هذا الدور الذي مكنها من أن تكون جزءاً من النظريّة اللسانية الحديثة عامّة، والحجاجيّة اللغويّة خاصّة؛ حيث اتّسعت دائرة الوسائل اللغويّة المُستغلّة في الإقناع وتحقيق مقاصد المتكلمين لتشمل الاستعارة، فقد عدت الأخيرة ضمن النظريّة اللسانية الحديثة أداة من أدوات الإقناع، وآلة من آليات الحجاج؛ ذلك لأنها لا ترتبط باللّغة حسب، بل ترتبط بالأفكار والأنشطة قبلاً<sup>1</sup>، كما أنّها " ليست مجردّ مجاز يحيل إلى فضاء تخيليّ في اللّغة، بل هي عمليّة استبدال وتحويل داخل الوعي نفسه"<sup>2</sup>، وفي داخل هذا الوعي تتم العمليّة التائيّريّة الإقناعيّة للاستعارة؛ عن طريق تحويلها المعاني العاديّة إلى صورٍ تخيليّةٍ حسيةٍ تكون أبلغ وأعمق في نفس المتلقّي؛ لتؤدّي وظيفتها التوجيهيّة في الخطاب، وليس لجوء المخاطب إلى الاستعارة في خطابه إلّا إدراكاً منه أنّها أقوى من الحقيقة في الحجاج.

وتعرّف الاستعارة الحجاجيّة بأنّها " تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغييرٍ في الموقف الفكريّ أو العاطفيّ للمتلقّي"<sup>3</sup>.

يفترض الباحث طه عبد الرّحمن في بناء نظريّته الاستعاريّة في الحجاج عدداً من الفرضيات، هي:<sup>4</sup>

أ. القول الاستعاري قول حواريّ، حواريتّه صفة ذاتيّة له.

<sup>1</sup> ينظر: لايكوف، جورج، وجونسون، مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2009، ص 157.

<sup>2</sup> صادق، مثنى، أسلوبية الحجاج التداولي، ص 177.

<sup>3</sup> الشهري، عبد الهادي، آليات الحجاج وأدواته، من كتاب الحجاج حدود وتعريفات، ص 137.

<sup>4</sup> عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان، ص310.

ب. القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي.

ج. القول الاستعاري قول عملي، وصفته العملية تلازم ظاهره البياني والتخييلي.

أما عن الحوارية، فما دام الحوار يقتضي تعددًا في الذوات الخطابية فإنّ هذا التعدد يتجلّى في الاستعارة عن طريق التقلب بين مستويي المعنى الحقيقي الظاهر المؤول (غير المراد)، والمعنى المجازي المضمّر التبليغي (المراد)؛ ولكل حال من هذه الأحوال ذات، فتكون الذوات أربعًا: ذات مظهرية، وذات مؤولة، وذات مضمرة، وذات مبلّغة، والمتكلم في اختياره القول الاستعاري يتقلب بين هذه الذوات الأربع.<sup>1</sup>

وتكمن حجاجية الاستعارة في تدخل آليتي الادعاء والاعتراض؛ حيث تدّعي الذات المظهرية وجود المعنى الحقيقي للخطاب، أي المطابقة بين المستعار له والمستعار منه، وتعرض الذات المؤولة على هذا الادعاء فتتكرر المطابقة بين المستعار له والمستعار منه. وكذلك الأمر في حال المعنى المجازي؛ تدّعي الذات المضمرة وجود مباينة بين المستعار له والمستعار منه، وتعرض الذات المبلّغة على ذلكم الادعاء.<sup>2</sup>

وتظهر فعالية الاستعارة في تناسبها مع ما يقتضيه السياق؛ فهي أبلغ الآليات اللغوية وأقواها.

ويتضح التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، بالتالي تكون الاستعارة أدهى من الحقيقة لتحريك همّة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها.<sup>3</sup>

وتنبغي الإشارة إلى أنه ليست كل استعارة هي استعارة حجاجية؛ إذ تُقسم الاستعارة في ظلّ نظرية الحجاج في اللغة إلى قسمين: الاستعارة الحجاجية، والاستعارة البديعية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان، ص 311.

<sup>2</sup> ينظر: مسعودة، الساكر، الاستعارة وبعدها الحجاجي في الخطاب الإقناعي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع 14، ج 2، 2018، ص 357.

<sup>3</sup> ينظر: السابق، ص نفسها.

<sup>4</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 108-109.

أمّا الأولى فهي إحدى الوسائل اللغوية المرتبطة بأهداف المتكلمين ومقاصدهم؛ حيث توظف من أجل توجيه الخطاب وتحقيق غاياته الحجاجية. وأمّا الثانية فهي استعارة لا تعدو أن تكون وسيلة لإظهار البراعة الفنية للشاعر أو الأديب، ولا علاقة لها بأهداف خطابية توجيهية، فسياقها هو سياق الزخرف اللفظي والتفنن الأسلوبي، وليس سياق التواصل والحجاج.

فمن الاستعارات الحجاجية مثلاً:

• قول النابغة: فإنك كالليل الذي هو مدركي.

• وقوله -تعالى-: " اشتعل الرأس شيباً".

ومن أمثلة الاستعارات غير الحجاجية، قول الشاعر:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

فليس في قول الشاعر هنا غاية غير إظهار براعته الفنية في توظيف المحسنات البديعية.

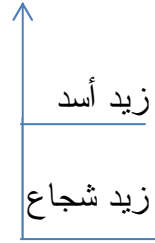
إنّ الأقوال الاستعارية أقوى الأقوال حجاجياً؛ وهو ما يدفع المتكلمين إلى اختيار ألفاظٍ استعاريةٍ في خطاباتهم بدلاً من الألفاظ الحقيقية؛ ذلك لأنّ قوّة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى ممّا نحسّه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي... فالسمات الدلالية المحنفظ بها في عملية التخيّر الدلالي الذي تقوم عليه الاستعارات هي سمات قيمية... وأنّ للاستعارة التي تتضمن حكماً قيمة وطناً على من يوجّه إليه الخطاب هو أقوى ممّا لو كان هذا الحكم بالقيمة مصاعاً في ألفاظ غير مجازية<sup>1</sup> وإنّ ما تتمتع به الأقوال الاستعارية من طاقة حجاجية عالية، يمكنها من احتلال المرتبة الأعلى في السلم الحجاجي، خذ مثلاً القولين الآتيين:

• زيدٌ شجاع.

• زيدٌ أسد.

<sup>1</sup> لوجرن، ميشيل، الاستعارة والحجاج، تر: الطاهر وعزيز، مجلة المناظرة، ع 4، 1991، ص 87-88.

لن يتردد أحدٌ في ملاحظة أنّ القوّة الإقناعيّة للقول الثّاني (زيدٌ أسد)، تفوق القوّة الإقناعيّة للأوّل (زيدٌ شجاع)، في إقناعها بشجاعة زيد؛ وبهذا سيأتي القول الثّاني في مرتبةٍ من السّلم أعلى، على ذا النّحو:



شكل (32): مخطط يظهر القوّة الحجاجيّة للقول الاستعاري على القول العادي

ويتميّز القول الاستعاريّ من القول العاديّ بأنّ القول العاديّ (غير الاستعاريّ) قابلٌ للدّحض والإبطال، إذ يمكن الردّ عليه بقولٍ آخر يدحضه ويفوقه، كأن يقول قائل: زيد شجاع لكنّه متهورّ.

أمّا القول الاستعاريّ فإنّه لا يأتي في سياق الإبطال والدّحض -وهو يتشابه في هذا مع الرّابط الحجاجيّ (حتّى)- فلا يمكن أن يُقال: زيد أسد لكنّه متهورّ.<sup>1</sup>

### الاستعارة الحجاجيّة في آيات الرّحمة

يزخر النّصّ القرآنيّ بهذا النّوع من الصّور الفنيّة، التي أبدع في استعمالها وتوظيفها بما يحاكي قلوب المتلقّين، ويشتّت ذهنهم؛ ليدفعهم إلى التّفكير في المعاني العميقة لهذه الصّور البارعة، والتساؤل حول الحكمة من اشتغالها محلّ كلامٍ آخرٍ عاديّ، أو، مباشرٍ في إيصال المعنى، عساهم يدركون عظمتها، ويستوعبون رسالتها، فيأخذون بها مقتنعين مسلمين، وقد وظّفت الاستعارة في آيات الرّحمة والعذاب كما وظّفت في غيرها من الآيات؛ لتؤدّي دورها في إيصال المعاني الحجاجيّة عن طريق تحويل المعاني المعنويّة إلى صور حسّيّة تكون أقرب إلى الإدراك والإفهام، ثمّ أيسر للقبول والإذعان.

<sup>1</sup> ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص106-107.



ووظفت الاستعارة في قوله -تعالى- {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ} <sup>1</sup> لتصل بالسامعين إلى الاقتناع بوحداية الله وتفردَه بالألوهية.

جاءت الآية هنا تذكر دليلاً على وحدانيته سبحانه، فتضمنت في محتواها قولين استعاريين أحدهما في قوله (يرسل)، والآخر في قوله: (ليذيقكم من رحمته)؛ لتكون الاستعارة هنا الأداة اللغوية الأقوى، والأبلغ، في تأثيرها بالعقول، ومحاكاتها للقلوب.

يتمثل الدليل على وحدانية الله، بسوق الرياح بالخير والبشرى للناس، لكن الآية لم تعبر عن هذا المعنى بشكل مباشر بل اختارت الألفاظ الأقرب إلى التأثير، فلم تختار مثلاً لفظ (يبعث)، إنما اختارت لفظ (يرسل)، وفي اختياره دليل على تكوين الرياح لتصل بلداً يحتاج المطر، يقول ابن عاشور في تفسيره الإرسال في هذه الآية: "والإرسال مستعار لتقدير الوصول، أي يقدر تكوين الرياح ونظامها الذي يوجهها إلى بلد محتاج المطر".<sup>2</sup>، فالإرسال شمل معنى الوصول إلى مكان فيه حاجة، فأصابت الرياح مكانها، وحملت الخيرات لمحتاجها، وبهذا كانت الرياح رسلاً، والرسل يبعثهم الله بما فيه الخير والمصلحة للناس، وليس بما فيه الشر أو الضرر، كل ذلك يدفع الناس إلى التفكير في الخالق المنعم، فذاك لا يكون إلا بتقدير عزيز عليم، ولما يكون الإرسال بالخير يكون المعنى أشد إقناعاً، وأكثر تأثيراً، ثم يزداد المعنى تأكيداً، عند قصر حال الرياح على: "مبشرات"؛ إذ البشرى تكون في الخير والمسرة، وهكذا قامت الاستعارة بدور الحجة لتليين القلوب ثم إذعانها وتسليمها بقدره الله ووحدايته ورحمته.

ولو استعملت الحجة لفظاً آخر مكان لفظ (يرسل)، لو استعملت (يبعث) على سبيل المثال، لما كانت لها القوة نفسها في الاستحواذ على القلوب والعقول، وتليينها لتقبل النتيجة؛ ذلك لأن معنى البعث في القرآن فيه زيادة على معنى الإرسال؛ ففيه قوة وقسوة وتهيج<sup>3</sup>؛ ولأن ربّ الناس يعلم

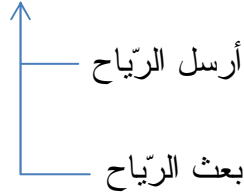
<sup>1</sup> سورة الروم، آية 46

<sup>2</sup> ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 71/21.

<sup>3</sup> الدكتور فاضل السامرائي من برنامج (لمسات بيانية)، في الحديث عن الفرق بين أرسل وبعث في سورتي الأعراف والشعراء، على الرابط الآتي: <https://www.youtube.com/watch?v=XhTQrT5RA2M>

الأسلوب الأمثل في تطرية السّامعين، ودفعهم إلى الاستجابة، لجأ إلى استعارة الإرسال في هذا السياق، فكانت أرقّ للسمع، وأقرب إلى الإقناع.

ويمكن رسم سلّم حاجيٍ لهذه الاستعارة، كالآتي:



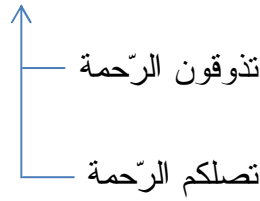
شكل (33): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (46) من سورة الروم

فقد شكّلت الاستعارة حجّة أقوى في التّدليل على المعنى، وتقريبه من نفوس المتّقين المنكرين لوحدانيّة الله.

وتلمح استعارة أخرى في قوله "ليذيقكم من رحمته"؛ حيث جعل الرّحمة شيئاً يُذاق، والذّوق يحسّ باللسان، وبهذا أوضحت الاستعارة المكنية الأمر المعنويّ (وصول الرّحمة للإنسان) بشيء حسيّ وهو التذوّق؛ إذ "الإذاقة مستعملة في إيصال الإدراك على وجه المجاز، واختيرت مادّة الإذاقة لما تشعر به من إدراك أمر محبوب؛ لأنّ المرء لا يذوق إلّا ما يشتهي"<sup>1</sup>، وهذه الصّورة الحسيّة التي اتّضحت لدى المتّق، ودفعته إلى الإحساس بالرّحمة إحساساً مادّيّاً، ودفعته إلى تذوّقها كشيء يحبّه ويشتهيّه، ولم تقتصر على المعنى المعنويّ؛ هذه الصّورة الحسية أدعى في إفهام المتّق، والتأثير فيه للاستجابة والافتناع بعظمة الخالق ورحمته بعباده، تلكم الاستعارة التي تحمل الطّاقة الحجاجيّة الأعلى، والتي لا يمكن لمنكر إنكارها، أو الاعتراض عليها، بعد أن لمسها وأدركها حسّيّاً، تتجّه بمخاطبيها إلى النّتيجة التي تدعمها وهي الإقرار بقدرة الله ورحمته، لعلّهم يشكرون.

<sup>1</sup> ابن عاشور، تفسير ابن عاشور، ج12، ص13.

وقد يعبر عن الطّاقة الحجاجيّة للاستعارة السّابقة بهذا السّلم:



شكل (34): مخطط يظهر القوة الحجاجيّة للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (46) من سورة الروم

إذ تتصدّر الاستعارة درجة السّلم العليا؛ لأنها الحجّة الأقوى.

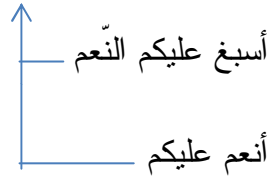
ومن رحمة الله بالنّاس أن أنعم عليهم بنعم كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، لكنّهم ينكرون تلكم النّعم، فيأتي الله بالدلائل على عظمته ونعمه؛ لتحاول التّغيير من مواقفهم الفكريّة والعاطفيّة، وتوجّههم إلى الإيمان بأنعم الله ورحمته، وقد أسهم البناء الاستعاريّ القرآنيّ في إثبات هذه النّعم والتّأكيد عليها، يقول -تعالى-: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...} <sup>1</sup>، فاستعير لفظ (أسبغ) ليشير إلى كثرة النّعم الظّاهرة والباطنة التي أنعم الله بها على خلقه، حيث يعني إسباغ النّعم: " إكثارها. وأصل الإسباغ: جعل ما يلبس سابغا... ثم استعير للإكثار لأن الشيء السابغ كثير فيه ما يتخذ منه من سرد أو شقق أثواب، ثم شاع ذلك حتى ساوى الحقيقة فقيل: سوابغ النعم." <sup>2</sup>، فقد شبّهت الآية إكثار النّعم بالإسباغ؛ لتكون الاستعارة تصرّحية، كما شبّهت النّعم بالملابس الوافية التي تلبس؛ لتوحي الاستعارة المكنيّة هنا بوفرة النّعم التي أنعم الله بها على الإنسان وكفايتها.

هاتان الاستعارتان، التّصرّحية والمكنيّة، بتصويرهما الحسيّ للنّعم، وتقريبهما المعنى من الإفهام، تتألّفان لتشكّلا حجّة تحقّق الغاية الإقناعيّة الحجاجيّة بإثبات النّعم الدّالة على قدرة الله، وتحول دون السّماح بالاعتراض على محتواها.

<sup>1</sup> سورة لقمان، آية 20.

<sup>2</sup> ابن عاشور، تفسير ابن عاشور، 117/21.

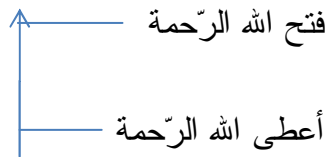
وما من شك أن الطاقة الحجاجية في اللفظ الاستعاري أعلى منها في اللفظ العادي:



شكل (35): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (20) من سورة لقمان

وتنتقل بنا الاستعارة في سورة فاطر لتبرز صفة من صفات عظمة الله، وتؤكد استحقاقه الحمد والعبودية وحده، فبعد أن افتتحت السورة بحمد الله، بدأت بتعداد صفاته سبحانه التي تجعله وحده -جلّ جلاله- أهلاً للحمد والثناء<sup>1</sup> {الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً...}،<sup>2</sup> وبعد ذكر خلق السموات والأرض والملائكة المرسلين، جاءت الاستعارة في الآية التالية بصفة أخرى من صفات عظمته سبحانه، وهي أنه فاتح الرحمة للناس وممسكها عنهم، فلا يستطيع أحدٌ منع ما فتحه أو إرسال ما أمسكه، يقول -تعالى-: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}<sup>3</sup>.

وقد تمثلت الاستعارة في الآية بتشبيه "إعطاء الله الرحمة بفتح الخزائن للعطاء"<sup>4</sup>، وتشبيه الرحمة بالمدخرات الثمينة التي يُتنافس عليها، وتشبيه منع الرحمة وحبسها بالمسك.<sup>5</sup> وكلها استعارات تصبّ في غاية واحدة وهي تقوية الحجاج لصالح التأكيد على صفات الله، ثم الإقرار بأحقّيته بالعبودية والثناء، إن استعمال الاستعارة أدعى من استعمال الحقيقة في تحريك أذهان المخاطبين وتوجيهها إلى الاقتناع والعمل؛ ولذلك فهي الأحقّ بارتقاء المرتبة العليا في السلم:



شكل (36): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (3) من سورة فاطر

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 111/22.

<sup>2</sup> سورة فاطر، آية 1.

<sup>3</sup> سورة فاطر، آية 2.

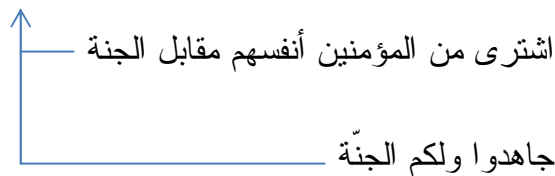
<sup>4</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 112/22.

<sup>5</sup> ينظر: السابق.

ويمكن عدُّ الاستعارات الواردة في آيات الرِّحمة السَّابِقة استعاراتٍ قائِمةً على مبدأ الاعتراض، " الذي يعمل على تنفيذ دعوة سابقة من خلال تقديم الحجج والبراهين النَّابِعة من الاستعمال الاستعاريّ، وما فيه من قوّة إقناعيّة وطاقة تأثيريّة"<sup>1</sup>، فشروط الاعتراض " أن يرد على دعوى سابقة، وأن يطالب المعارض المدّعي بإثبات دعواه، وألّا يسلم له إلّا عند تمام اقتناعه بصحّة هذا الإثبات"<sup>2</sup>، وليست الاستعارات السَّابِقة سوى ردٌّ على منكري وحدانيّة الله وقدرته، بالتّالي كانت حججاً تردّ على دعاوي المشركين والكفّار، الذين يعبدون غير الله، أو يشركون معه غيره في العبادة.

ومن رحمته - سبحانه - بعباده المؤمنين، أن يسرّ لهم الجهاد وحبّبه إليهم، بأن بشرهم بأنّه طريقهم إلى الجنّة، وقد جعل القرآن الاستعارة سبباً كشف به للمؤمنين عن هذا الطّريق، ورسم من خلاله صورةً يقنعهم بها بجمال هذا الطّريق وعظمتها، ويثبت بها ثوابهم، فهو وعدٌ من الله لهم، في قوله - تعالى - : {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...} <sup>3</sup> إذ جعل وعدهم بالجزاء بالجنّة اشتراءً، وما دامت التّجارة مع الله هنا فلن تكون خاسرة، فاستعير لفظ (اشترى) بما يحمله من قوّة إقناعيّة لا يجاريه بها لفظٌ آخر في موضعه، للدّلالة على الوعد الإلهيِّ لمجاهدي المؤمنين بالجنّة، فيثبت أفئدة المؤمنين ويطمعهم بالجهاد.

وتبرز الطّاقة الإقناعيّة للفظ (اشترى) في الآية السَّابِقة بالمخطّط الآتي:



شكل (37): مخطط يظهر القوّة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (111) من سورة التوبة

<sup>1</sup> أبو غليون، هاني يوسف، الحجاج في النّص القرآني (سور الحواميم أنموذجاً)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2018، ص111.

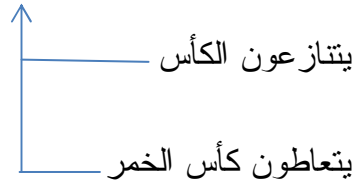
<sup>2</sup> عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان، ص 311.

<sup>3</sup> سورة التوبة، 111.

في سياق آخر من سياقات الرّحمة، سياق رحمة الله بالمؤمنين في الجنّة، جاءت الاستعارة لتشخص صوراً من فرح المؤمنين بالجنّة ونعيمها؛ فتكون بذلك حججاً تقوي الخطاب وتمكّنه في النفس، عبر تحويلها الصّور الجامدة صوراً حسّيّة ملموسة، تحبّب المخاطبين بالحال المصوّرة، وتدنيها من قلوبهم؛ لتحثهم على تغيير مواقفهم إلى ما يمكنهم من التمتع بهذه الصّور، ويجعلهم أحد هذه الوجوه الضاحكة المستبشرة التي سيرسمونها في مخيلتهم وأذهانهم؛ فالاستعارة "آلية تصوّريّة تحكم اشتغال نظام تفكيرنا، وتتأسّس على فهم لمجال تصوّري ما عن طريق آخر، وهو إسقاط... إسقاط بطبيعته جزئيّ يسعى إلى فهم المجرّد عن طريق المحسوس".<sup>1</sup>

ومن صور رحمة الله بالمؤمنين في الجنّة أن يُحلّ لهم الخمر الذي حُرّم عليهم في الدّنيا، فيتمتعون بشربها ويتلذذون بمشاركة بعضهم بعضاً الشرب في الجنّة، وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى موظفاً الاستعارة؛ لما تتمتع به، في مقابل القول العاديّ، من قوّة حاجيّة عالية، وطاقة إقناعيّة رهيبية، تدفع مخاطبها إلى الاقتناع دفع الرّاضي المُدعن؛ وذلك بإغرائه بعمق معانيها، وقوّة رسالتها التي لا يمكن له أن يدحضها بأيّ حال، انظر قول الله -تعالى-: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ}<sup>2</sup>، حيث أُستُعبِر لفظ (يتنازعون) ليرمز إلى تداول الكأس وتعاطيه بين المؤمنين في الجنّة<sup>3</sup>، فكانت الاستعارة حجّةً تغري المتلقّي بجمال المعاني التي تضمّنتها لفظة (يتنازعون) بما تحويه من لذة وفرح وتمعّة؛ لتشجّعه في النّهاية على العمل من أجل هذه اللّحظة.

ويمكن أن يُرسم السّلم الآتي للتعبير عن القوّة الحاجيّة للاستعارة في الآية:



شكل (38): مخطط يظهر القوّة الحاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (23) من سورة الطور

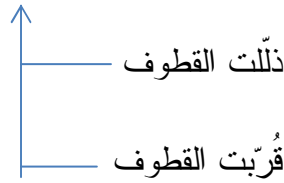
<sup>1</sup> البوعمراني، محمد، الفضاء وبنى اللغة والخطاب، مجلة سياقات، ع1، ج3، 2018، ص65.

<sup>2</sup> سورة الطور، آية 23.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 65/27.

ولعلّ في صورة قُطوف التّمّر وعناقيد العنب الّتي تدنو من المؤمنين لتيسّر عليهم القطف صورةً أخرى من صور رحمته -تعالى- بالمؤمنين في الجنّة، وقد حضرت الاستعارة في هذا المقام مؤكّدة الرّاحة الّتي يعيشها المؤمنون ويشعرونها بالجنّة حين استعارت لفظ (ذَلَّت) لتعبّر عن تسخير القُطوف وتقريبها من المؤمنين تيسيراً عليهم في قوله: **﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيًا﴾**<sup>1</sup>؛ يقول ابن عاشور في تفسير (ذَلَّت قطوفها): "سخرت لهم قُطوف تلك الأدواح وسهلت لهم بحيث لا التواء فيها ولا صلابة تتعب قاطفها ولا يتمطون إليها بل يجتونها بأسهل تناول"<sup>2</sup>، وقد برزت الصّفة الحجاجيّة للقول الاستعاريّ هنا في الطّاقة المجازيّة الّتي انطوى عليها لفظ(ذَلَّت) ليعكس في أذهان المستمعين صورةً تشعرهم برفعة مكانتهم، وعلوّ كرامتهم وكبريائهم، لما ذَلَّت القُطوف لهم تدلياً، هذا الشّعور ما كان ليكون بكلّ ما فيه من قوّة ونشوة لولا توظيف الاستعارة، أو لو وظّف مكانها قولاً عادياً حقيقيّاً، كلفظ (قُرِبَتْ).

ولم يكن استخدام لفظ الاستعارة ذلك، بشحنته الحجاجيّة العالية تلك، لمجرد التّفنّن في التّعبير، بقدر ما كان لغايةٍ يسعى الخطاب إلى تحقيقها، وهي إغراء المخاطبين بنعيم الجنّة؛ ليغيّروا أفكارهم وسلوكاتهم بما يتناسب معها. ويمكن تمثيل الطّاقة الحجاجيّة في (ذَلَّت) بالشّكل الآتي:



شكل (39): مخطط يظهر القوّة الحجاجيّة للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (14) من سورة الإنسان

### الاستعارة الحجاجيّة في آيات العذاب

خلافاً لما تنثيره ألفاظ الاستعارة في آيات الرّحمة من معاني الرّقّة والرّأفة، ومشاعر البهجة والألفة؛ فتحتاج لترغيبٍ برحمةٍ وخير، أو إغراءٍ بنعمةٍ وثواب، تأتي ألفاظ الاستعارة في آيات العذاب مشحونةً بمعاني الغلظة والقسوة، ومشاعر الألم والحسرة؛ لتحتاج بترهيبٍ من عذابٍ وشرٍّ، وتحذّرٍ من عقابٍ وجزاء.

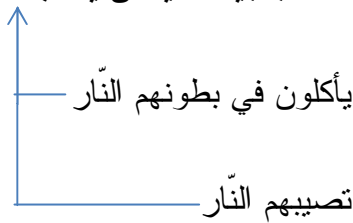
<sup>1</sup> سورة الإنسان، آية 14.

<sup>2</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 362/29.

وقد كثر الاستعمال الحجاجي للاستعارة في آيات العذاب؛ لتشكّل وسيلة للكشف عن شنيع أفعالهم التي تجعلهم مستحقّين العذاب الذي سيحلّ بهم، محذرةً المتلقّي من الوقوع في أعمالهم الشنيعة الموجبة للعذاب، ومنها ما جاء في قوله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا} <sup>1</sup>؛ حيث أسهم توظيف الاستعارة متمثلةً بقوله: "يأكلون في بطونهم ناراً" في تبيان عقوبة أكل أموال اليتامى ظلماً، وذلك بتصوير العقوبة تصويراً حسياً يبيث في القلب والنفس والعقل كلّ معاني الحرقه والألم، ويبعث فيها مشاعر النفور والحسرة، ويُسمع الأذن أصوات الصّراخ، فقد استعار الخطاب القرآني لفظ (يأكلون)، ليشبّه به أخذ أموال اليتامى ظلماً، واستعار النار ليعبر فيها عن كلّ معاني الألم والعذاب والتلف التي تحيط بفاعل هذا الفعل، يقول ابن عاشور: "يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ النَّارِ مُسْتَعَارًا لِلْأَلَمِ بِمَعْنَى أَسْبَابِ الْأَلَمِ فَيَكُونُ تَهْدِيدًا بِعَذَابٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ مُسْتَعَارًا لِلتَّلْفِ لِأَنَّ شَأْنَ النَّارِ أَنْ تَلْتَهُمْ مَا تُصِيبُهُ" <sup>2</sup>.

ولم تقف الصّورة عند حدّ النار في البطون، رغم قسوتها ومرارتها، بل أردفتها بعذاب فوق العذاب وألم فوق الألم، عندما أكّدت العذاب بقولها: "وسيصلون سعيراً"، فكان الأول تهديداً للعذاب في الدنّيا، والثاني وعيداً بعذاب الآخرة. <sup>3</sup>

تلك الصّورة الاستعارية تشتغل حجةً للتّفسير من ارتكاب ذلك الذّنب (أكل مال اليتامى ظلماً) وترهب من عذابه، وما كان ذلكم التّفسير ليكون على ما هو عليه من الشّدّة لولا تلكم الألفاظ الاستعارية؛ فليس لفظ (تصيبكم) النار كلفظ (يأكلون) النار، في اللفظ الثاني -وصورة النار في البطن تغلي وتحرق- طاقة حجاجية عالية لن يتغلّب عليها في مكانها لفظ آخر:



شكل (40): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (10) من سورة النساء

<sup>1</sup> سورة النساء، آية 10.

<sup>2</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 43/10.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 43/10.



كما وقفت الاستعارة في السياق الحجاجي في الخطاب القرآني دليلاً على خسارة تجارة الكافرين، الذين باعوا الهدى؛ ليشتروا الضلالة، فهم يُظهرون الإيمان بين المؤمنين؛ حتى إذا جاؤوا شياطينهم نسوا الإيمان واستبدلوا به كفرًا وضلالة، فكان حالهم المتخبط بين الهدى والضلالة كحال "المشتري لشيء كان غير جائز له"<sup>1</sup>، قال -تعالى- في وصف الناس المدعين الإيمان بالله واليوم الآخر خادعين أنفسهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}<sup>2</sup>، فكونت الاستعارة في (اشترُوا) حجةً على من يشتري دنياه بأخرته، متوعدة من يتاجر هذه التجارة بالخسارة.

وتلقت الاستعارة الحجاجية إلى إظهار أصناف العذاب التي وقعت بالأمم السابقة؛ لتدفع الكفار إلى الاتعاض والاعتبار، والإيمان برسالة الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وتتنذروهم من تكذيب رسولهم كما فعل السابقون، وإلا نزل بهم ما نزل على سابقهم من العذاب، فهي تخط صورة كثيفة، تحفر أثرًا في النفس لشدتها، حين جعلت حلول العذاب بالكافرين وإحاطته فيهم دفعة واحدة "كصب الماء على المغتسل، أو صب المطر على الأرض"<sup>3</sup>؛ حيث يكون سريعًا كثيرًا؛ لتوحي بالقوة والشدة، كان ذلك في قوله -تعالى- في الحديث عن عذاب الأمم السابقة من عاد وثمود وفرعون، لما طغوا في الأرض وأكثروا من الفساد: {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ}<sup>4</sup>؛ إذ قامت الاستعارة في (صب) بدور حجاجي، حاجت فيه، بكل ما تملكه من طاقة إقناعية، الكفار الذين كذبوا محمدًا (عليه الصلاة والسلام)؛ لتتنذروهم من عذاب يصيبهم كما أصاب من قبلهم، وتواجههم بحيث لا يمكنهم الرد عليها لهول وقعها في النفس.

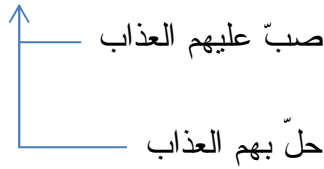
وتمثل الطاقة الحجاجية للاستعارة في (صب عليهم العذاب) عند مقارنتها بالقول الحقيقي، كما الآتي:

<sup>1</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 299\1.

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية 16.

<sup>3</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 321\31.

<sup>4</sup> سورة الفجر، آية 13.



شكل (41): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (13) من سورة الفجر

حيث الشدة التي يتضمّنها لفظ الاستعارة تجعله أقوى حجاجياً، بالتالي سيتصدّر الدرّجة العليا من السلم.

كما استخدمت الاستعارة الحجاجية في بيانها للعذاب الواقع على فرعون وجنوده؛ لتدلّ على تحقير الكافرين وإهانتهم، يلمح ذلكم في رسم الخطاب القرآني، من خلال الاستعارة، لهؤلاء الكافرين صورة تحطّ من شأنهم، وتجعلهم شيئاً بلا قيمة، فقد جعلهم القرآن في قوله -تعالى-: {فَأَخَذْتَهُمْ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ}<sup>1</sup> حصياتٍ تؤخذ في الكفّ فترمى في اليمّ، يقول صاحب الكشّاف في هذه الآية: "شبههم استحقاراً لهم واستقلالا لعددهم. وإن كانوا الكثر الكثير والجم الغفير، بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر"<sup>2</sup>.

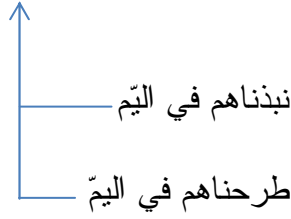
ولمّا كان العذاب المستحقّ على فرعون وجنوده سببه استكبارهم في الأرض، وفسادهم فيها، يقول -تعالى- عن فرعون وجنوده في موضع آخر: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ}<sup>3</sup>، لمّا كان كذلك، كانت الاستعارة في قوله: "فنبذناهم في اليمّ" حجةً تؤكّد عذاب المستكبرين، والمشكّكين في البعث؛ لتؤدّي إلى تقرّيع المتلقّي وتحذيره من اقتراف مثلما اقتترفوا، وتجربته إلى تعديل موقفه إن كان كموقف هؤلاء.

وقوّة الاستعارة الحجاجية في القول السابق مقارنةً بالقول الحقيقي تأتي في السلم بهذا الشكل:

<sup>1</sup> سورة الذاريات، آية 40.

<sup>2</sup> الزمخشري، أبو القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، نج: عادل احمد عبد الموجود، و الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418-1998، الجزء 4، ص 507.

<sup>3</sup> سورة القصص، آية 39.



شكل (42): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (40) من سورة الذاريات

وإنّ قوّة المعاني التي يتضمّنّها القول الاستعاري (نبنذناهم)، هي التي تجعله بهذه المكانة في الحجاج؛ فالنّبذ في اللّغة فيه طرحٌ مع إهمال، ومفارقة عن خلاف وبغض. أمّا الطّرح فهو الإلقاء، وقد يكون البعد، دون أن يُشترط فيه البغض أو الإهمال.<sup>1</sup> وهذه القدرة الحجاجيّة التي يمتلكها اللفظ الاستعاريّ تجعل المخاطب يصمت أمامها فلن يستطيع الاعتراض أو الدّحض.

وإن كانت استعارة الإذاقة في آيات الرّحمة تعني التّدوّق والإحساس بأمر محبوبٍ مشتهى، فهي على النّقيض من ذلك في آيات العذاب؛ حيث تأتي الإذاقة في مقام العذاب محمّلةً بمعاني السّخريّة والتّهكّم والإهانة، من ذلك ما جاء من الإذاقة في قوله -تعالى-: {كذّب الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} (25) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ<sup>2</sup>.

وردت تلكم الآيات في سياق تردّ فيه على سؤال المؤمنين حول تمتّع الكافرين في الحياة الدّنيا؛ فتطمئنهم بأنّ العذاب سيحلّ بالكافرين بغتة كما حلّ بقريشٍ في بدر<sup>3</sup>، ثمّ سيأتيهم عذابٌ آخر يوم القيامة، وتستخدم الاستعارة لتعبّر عن ذلك المعنى فتقوّي الخطاب وتجعل أثره في النفس أكبر، اطمئناناً للمؤمنين، وفرعاً للكافرين، وذلك بتشبيهه العذاب بالطّعام الذي يُتدوّق، وما تحمله هذه الإذاقة من سخريّة، لأنّ الأصل أن يكون المذاق سائغاً، أمّا هنا فهو عذاب سيتمكّن من أجسادهم،

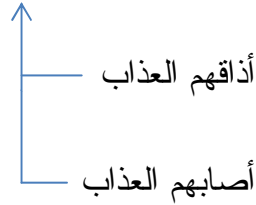
<sup>1</sup> ينظر: لسان العرب، مادتي (نّبذ)، و(طرح)، ج3، ص511-512، و ج 2، ص528-529 على الترتيب.

<sup>2</sup> سورة الزمر، آية 25-26.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 76/24.

وبما أنّ "عملية التذوق تتم على عجل دون تأنّ، كما في تناول الطّعام، فما هذا العذاب المهلك إلّا وجبة سريعة للتذوق ولا يقارن بعذاب الآخرة"<sup>1</sup>.

ولا ريب أنّ أثر الإذاعة في المتلقّي أشدّ من أثر الإصابة، وبذلك يكون السلم الحجاجيّ على النحو الآتي:



شكل (43): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (25-26) من سورة الزمر

ولأنّ الذين كفروا أصروا على الكفر وأمسكوا عن التّفكّر في آيات الله؛ جازاهم الله بأن منع الهداية والاستجابة عن قلوبهم وعقولهم وأسماعهم، وغطّى على أبصارهم، حيث لن يهتدوا أبداً، وقد أشار الخطاب القرآنيّ إلى هذه الدلالة عبر الألفاظ المجازية الاستعارية، التي وظّفت بشحنها الحجاجية لتسير بالخطاب إلى التأثير أشدّ الأثر بالمتلقّي حتّى تتجّه به نحو اتّخاذ موقفٍ سلبيٍّ من بشاعة الصّورة المطروحة في ألفاظ الاستعارة، ونحو التّعيير الإيجابيّ الذي سيجنبه هذا الغضب الإلهي، قال -تعالى-: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}<sup>2</sup>.

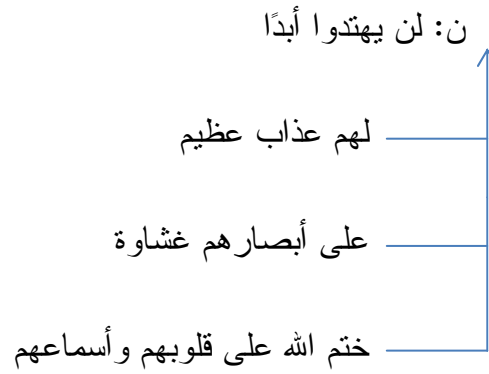
اجتمع في هذا الخطاب القرآنيّ قولان استعاريّان، تمثّلا بلفظتي: (ختم) و(غشاوة)؛ حيث كانت القلوب بعدم نفاذ الإيمان إليها، والأسماع بتجنّبها سماع الآيات كأنّه مختومٌ عليها، والختم على القلب يعني: "أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنّه طبع"<sup>3</sup> وكانت الأبصار بإعراضها عن النّظر إلى الآيات والدلائل الكونية كأنّه مغشيٌّ عليها، أي: مغطّاة، فالغشاء في اللّغة يعني

<sup>1</sup> أبو غليون، هاني يوسف، الحجاج في النّص القرآني (سور الحواميم أنموذجاً)، ص113.

<sup>2</sup> سورة البقرة، آية7.

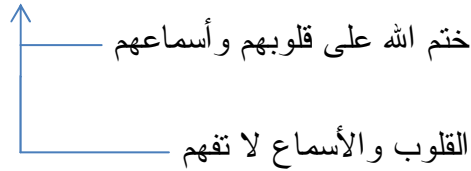
<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختم)، 2015.

"الغطاء"<sup>1</sup>، وهكذا اجتمعت الاستعارتان لتزيدا الطّاقة الحجاجيّة للخطاب، وتقفأ في وجه أيّ اعتراضٍ يخالف معانيهما، ولم يكتف الخطاب القرآني في حواجه عند حدود القوّة الاستعاريّة بل ضاعف من هول المصاب، وأعلى حدّة الخطاب لما تابع الحجّتين الاستعاريّتين بحجّة ثالثة، يؤكّد فيها استحالة هدايتهم وذلك بإقراره وقوع العذاب العظيم بهم؛ فلو اهتموا لما وقع العذاب. ولو أردنا رسم الخطاطة الحجاجيّة، وتآلف الحجج الثلاث في الخطاب القرآني السابق لتدرّجت الحجج حتّى تصل إلى نتيجة الخطاب بهذا الشكل:

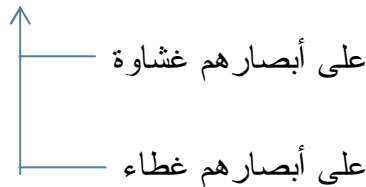


شكل (44): مخطط يظهر السلم الحجاجي للآية (7) من سورة البقرة

ولو أردنا تمثيل الطّاقة الحجاجيّة للألفاظ الاستعاريّة في الخطاب، لتمنّلت كالاتي:



شكل (45): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في قوله (ختم) من الآية (7) من سورة البقرة

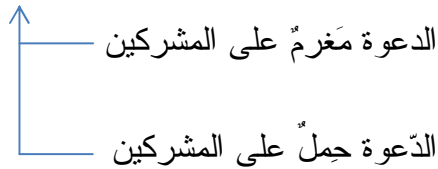


شكل (46): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في قوله (غشاوة) من الآية (7) من سورة البقرة

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (غشي)، 5411.

ويتجلى البعد الحجاجي للقول الاستعاري في قوله -تعالى-: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُتَّقِلُونَ} <sup>1</sup> من خلال محاجة المشركين بأنه لا عذر لهم في إعراضهم عن الدعوة المحمدية؛ إذ أكدت إعراضهم عنها، وعدم استجابتهم لها؛ فهي حملٌ ثقيلٌ عليهم، عندما جاءت بالاستعارة في (من مغرم متقلون) بما تحمله ألفاظها من طاقة إقناعية لتثبت ذلكم الإعراض؛ وذلك بتشبيهها عدم استجابتهم للدعوة بالحمل الثقيل عليهم بحجة أنهم لا يقدرّون عليه، يعلق ابن عاشور على هذه الآية قائلاً: " والمغرم بفتح الميم مصدر ميمي، وهو الغرم. وهو ما يفرض على أحد من عوض يدفعه. والمتقل أصله المحمل بشيء ثقيل، وهو هنا مستعار لمن يطالب بما يعسر عليه أدائه، شبه طلبه أداء ما يعسر عليه بحمل الشيء الثقيل على من لا يسهل عليه حمله. و { من } للتعليل، أي متقلون من أجل مغرم حمل عليهم. والمعنى أنك ما كلفتهم شيئاً يعطونه إياك فيكون ذلك سبباً لإعراضهم عنك تخلصاً من أداء ما يطلب منهم، أي انتفى عذر إعراضهم عن دعوتك" <sup>2</sup>.

فالاستعارة في هذه الآية عملت حجةً تصوّر ثقل الدعوة على المشركين، وتثبت عدم براءتهم برفضهم لها، وتمثّل الطاقّة الإقناعيّة لهذه الاستعارة الحجاجيّة بالرّسم الآتي:



شكل (47): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (40) من سورة الطور وتستمرّ ألفاظ القرآن بما تحمله من قوّة مجازيّة استعاريّة في الحجاج للترهيب من حال الكفار، والتّهويل من شدّة العذاب، عن طريق تشخيصها الجمادات، وتحويلها من جمادات منزوعة المشاعر إلى كائنات تحسّ وتنفع، يتّضح ذلكم، في خطاب العذاب القرآني، من خلال تشخيص النار كائناً له شهيقٌ وزفير، وكائناً يغطّظ أشدّ الغيظ حتّى ليسلّط كلّ أنواع الضّرر والأذى بمن

<sup>1</sup> سورة الطور، آية 40.

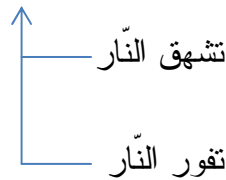
<sup>2</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 85/27.

غاضه، وقد برز هذا التشخيص للنار في قوله -تعالى-: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ...} <sup>1</sup>، فقد تضمّن الخطاب هنا حجّتين استعاريّتين، نقلنا النار من حيّز الجمود إلى حيّز الانفعال؛ صوّرت الحجّة الأولى (سمعوا لها شهيقًا) شدّة لهيب النار وفضاعة فورانها وغليناها حتّى ترتفع أصوات شهقاتها، وكأنّ المتلقّي في تخيّل هذه الصّورة يسمع زفرات جهنّم ويحسّ بظفرة غليناها كأنّها أمامه، فتخلّف الصّورة في نفسه حالةً من الفرع والتخبّط لا سبيل إلى التخلّص منها غيرُ اتباع سبيل الحقّ.

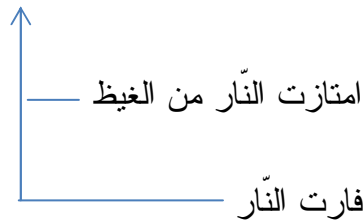
وصوّرت الأخرى حال فوران النار التي ترتفع فيها أسنة اللّهب لتلهم بشراسة كلّ ما يلقى فيها، بحال إنسانٍ مغتاظٍ غيظًا شديدًا من غيره فلا يترك أذى إلاّ ألحقه به؛ لتتجه هذه الحجّة الاستعاريّة بمتلقّيها إلى الإحساس بحالة من الهلع الشديد، لا تترك له احتمال الإفلات منها.

وإنّ الشدّة التي تضمّنتها الألفاظ الاستعاريّة في معانيها، هي ما أكسبتها الطّاقة الحجاجيّة الشديدة؛ التي شدّدت من أثرها في المتلقّي.

وتخطّ الطّاقة الحجاجيّة للاستعارة المعبّرة عن هول النار في الحجّتين الاستعاريّتين السّابقتين بالخطاطتين الآتيتين:



شكل (48): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (7) من سورة الملك



شكل (49): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (8) من سورة الملك

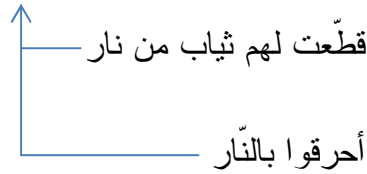
<sup>1</sup> سورة الملك، آية 7-8.

ويحفر الخطاب القرآني أثراً في المتلقي لا يمحي حين يستغل الاستعارة بطاقتها الإقناعية وقدرتها الحجاجية؛ ليصنع من النار أثواباً تلتصق جلود الذين كفروا فتحرقهم حروفاً لا تمحي آثارها، يقول -تعالى-: {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ<sup>1</sup>، فتوحي هذه الاستعارة بما يقاسيه هؤلاء الكافرون من عذاب أليم غليظ، فالأصل في الثياب أن تقي لابسها الحرّ والبرد، ولكن ثياب الكافرين من نار، فالحرّ فوق الحرّ والألم على الألم.

وقد احتجّ الخطاب القرآني هنا بهذه الاستعارة ليبين هول المصاب، وشدة العذاب الذي سيحلّ بالكافرين يوم القيامة، حيث تحرق النار أجسادهم.

وكانت القوة الحجاجية في الخطاب أكبر باستخدام لفظ (قطعت) بصيغة المبالغة التي جاء عليها، فبالغت معها من القوة الحجاجية للخطاب.

وتفوز الاستعارة الحجاجية بالمكان الأعلى من السلم الحجاجي على هذا النحو:



شكل (50): مخطط يظهر القوة الحجاجية للقول الاستعاري على القول العادي في الآية (19) من سورة الحج

وأخيراً، فإيثار توظيف الألفاظ الاستعاريّة في الخطاب القرآني عامّة، وفي الرّحمة والعذاب خاصّة، دليلٌ على الأهميّة الحجاجيّة التّوجيهيّة لها؛ وإلّا لما كان القرآن استعملها في إقناع مخاطبيه، والتأثير فيهم؛ حيث تمتلك الاستعارة طاقة حجاجيّة عالية، لا يمكن دحضها، ما يجعل المخاطب يقف عاجزاً مسلماً أمام قوتها الخطابية؛ ولهذا نجد ألفاظها مبنوثة في الغايات التّرجيبية والتّرهيبية في القرآن، ومنها التّرجيب بالرّحمة، والتّرهيب من العذاب.

<sup>1</sup> سورة الحج، آية 19.



أولاً: في آيات الرحمة

- قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾<sup>1</sup>{(60)}

جاءت الآية تبيّن أنّ السبيل لدخول الجنة أمام الكافر أو العاصي ما زال مفتوحاً لمن يريد؛ ولكنها وضعت شروطاً ثلاثة، هي بمثابة حجج ثلاث، إن لزمها الإنسان دخل الجنة.

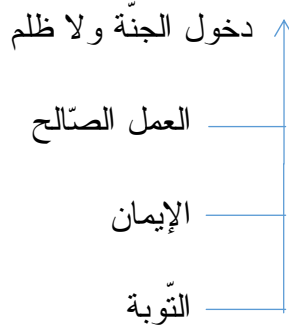
تلك الحجج هي التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، وقد جاءت الحجج مرتبة بواو العطف التي جمعت بينها؛ ثم ربطت الآية الحجّة بنتيجتها (دخول الجنة) بالفاء، حيث كانت الفاء رابطاً ربط الحجج بالنتيجة.

ولتحفّز الآية على التوبة لم تكنف بتبيان نتيجتها الكبرى (دخول الجنة)، بل أكّدتها حين عطفت عليها نتيجة أخرى، تبشّر التائبين أنّ ما كانوا عليه من الكفر أو العصيان لن يضرّهم شيئاً، ولن يُنقص من حقّهم في الجنة شيئاً<sup>2</sup>، إن هم تابوا، وآمنوا، وعملوا صالحاً؛ وحتى لا تترك في نفوسهم ريبة أو خوفاً من الظلم أو الحساب على سابق أعمالهم، ساقط النتيجة منفية بالعامل (لا)، فقالت: "لا يظلمون شيئاً"؛ فقامت السلطة الحجاجية لعامل النفي بدحض كلّ ريبة أو خوف.

وفي سلم الحجاج تترتّب الحجج الثلاث من الأدنى إلى الأعلى، حتى تصل إلى القمة معلنة النتيجة التي تقود إليها الحجج، كما في الشكل الآتي:

<sup>1</sup> سورة مريم، آية 60.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري، أبو القاسم، الكشاف، 33/4.

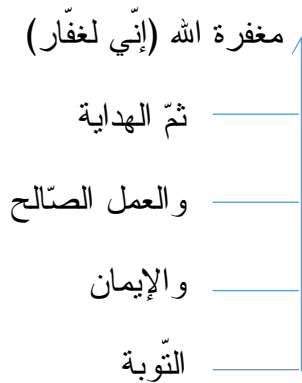


شكل (51): مخطط يظهر السلم الحجاجي للآية (60) من سورة مريم

• قال -تعالى-: {وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ} (82)<sup>1</sup>

كما الآيات السابقة، تُفصح هذه الآية عن طريق الفوز بالمغفرة، فقد كشفت أنّ ذلك يكون عبر حججٍ أربعٍ ترتبت نسقياً من بداية الطريق إلى نهايته، ربطت (واو) العطف بين الحجج الثلاث الأولى، التي تمتلّت في (التوبة: وهي الكفّ عن الشرك، والإيمان: وهو التصديق بالقلب، والعمل الصالح: وهو العمل بالجوارح)<sup>2</sup>، ثمّ ربطت (ثمّ) الحجّة الثالثة بالأخيرة التي تمتلّت في (الهداية: وهي لزوم الإسلام حتّى الموت)<sup>3</sup>؛ فجمع الرّابطان بين الحجج مؤدّيين بها إلى الغاية المرادة وهي الفوز بالمغفرة، فالفوز بمغفرة الله هو نتيجة الخطاب، وقد جاءت هذه النتيجة مؤكّدة بالرّابط (إنّ) مُصاعاً الخبر فيها بصيغة المبالغة؛ ما يؤكّد عظمة مغفرة الله وكثرتها.

ويُكشف الخطاب الحجاجي لهذه الآية عبر هذا السلم الحجاجي:



شكل (52): مخطط يظهر السلم الحجاجي للآية (82) من سورة طه

<sup>1</sup> سورة طه، آية 82.

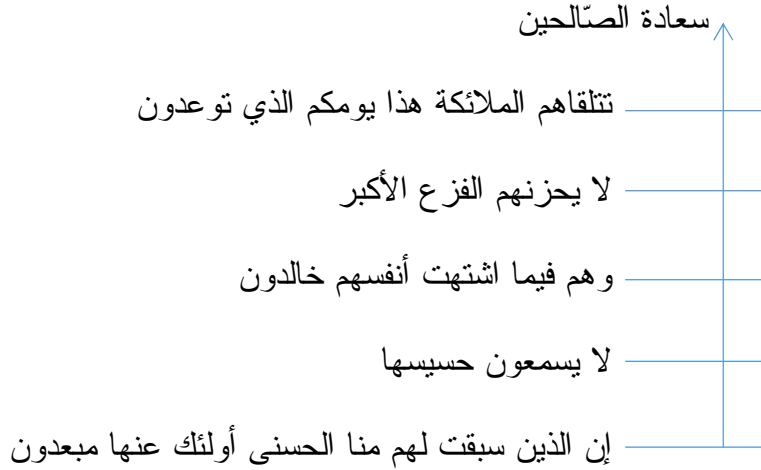
<sup>2</sup> ينظر: ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، 5/ 271.

<sup>3</sup> ينظر: السابق، ج نفسه، ص 272.



وأخيراً يصل السلم القمّة ليعبر عن أرقى درجات السعادة عند الصالحين، وذلك حين تتلقّاهم الملائكة فتؤكّد لهم البشرى بأنّ هذا يوم السعادة الذي وُعدتم به.

يمثّل السلم الحجاجيّ السابق على هذا النحو:



شكل (54): مخطط يظهر السلم الحجاجي في سورة الآيات (101-103) من سورة الأنبياء

ثانياً: في آيات العذاب

• قال -تعالى-: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52)}<sup>1</sup>

ينفر الخطاب القرآني في الآية من الظلم (الشرك) عبر بيان المصير الذي يؤدّي إليه؛ إذ بيّن أنّه يؤدّي إلى نتائج ثلاث، تصبّ كلّها في نتيجة عامّة محقّقة وهي خلود الظالم في النار.

تلکم النتائج تمثّلت في:

1. لا معذرة تنفع الظالم يوم الحساب.

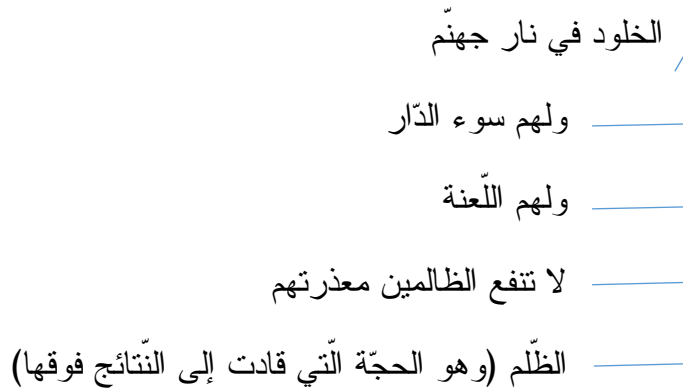
2. اللعن، وهو الطرد من رحمة الله.

3. لهم سوء الدار، وهي النار.

<sup>1</sup> سورة غافر، آية 52.

وقد جاءت النتيجة الأولى منفية بالعامل الحجاجي (لا) حتى لا تترك أملاً عند الظالمين بقبول المعذرة، كما ترتبت النتائج فيما بينها بالرابط الحجاجي (واو العطف) ترتيباً يوضح التدرج في معاقبة الظالم؛ حيث إنه يحاول الاعتذار لعل الله يرحمه، لكن دون جدوى، فمصيره إلى نار جهنم.

ويتضح ذلك التدرج عبر السلم الآتي:



شكل (55): مخطط يظهر السلم الحجاجي في الآية (52) من سورة غافر

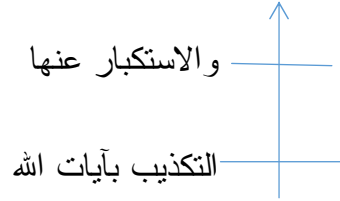
- قال -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَأَنفُتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)}<sup>1</sup>

كسائر آيات العذاب في القرآن، تخبر هاتان الآيتان بسوء عاقبة الكافرين، وتكشف عن فعلين شنيعين لهم، هما: التكذيب بآيات الله، والتكبر عن تصديقها، هذان الفعلان سيشكلان مسوغين (حجتين)، تستوجبان تلك العاقبة (النتيجة) المعروفة وهي النار، وقد فضل الخطاب القرآني أن يقوي من ألم تلك العاقبة؛ عبر التسلسل في إخبارهم بحقيقتها شيئاً فشيئاً، والتنوع في التعبير عن مدى سوءها.

<sup>1</sup> سورة الأعراف، آية 40-41.

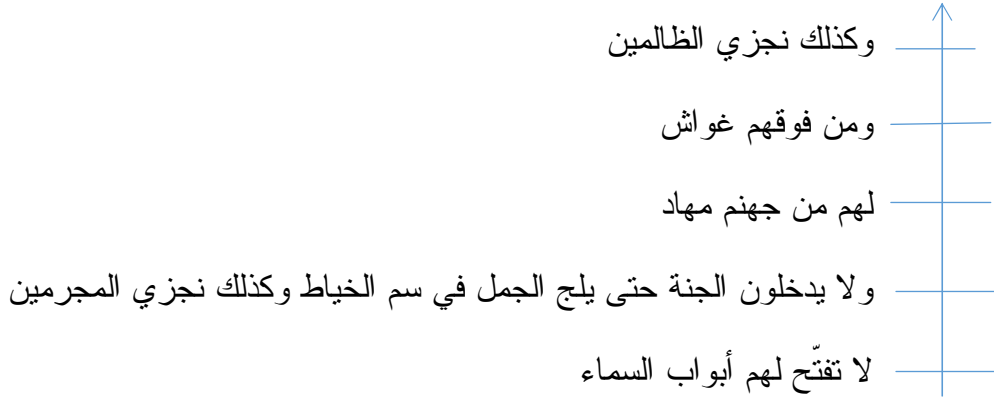
ويمكن تمثيل الخطاب بالسلمين الآتيين:

1. (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين، لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين)



شكل (56): مخطط يظهر السلم الحجاجي في الآيتين (40-41) من سورة الأعراف

2. العذاب الشديد في نار جهنم



شكل (57): مخطط يظهر سلمًا حجاجيًا آخر في الآيتين (40-41) من سورة الأعراف

ففي السلم الأول كانت الحجّتان (التكذيب والاستكبار) سببًا للوصول إلى النهاية الحتمية وهي العذاب في النار، التي عبّر عنها بمجموعة نتائج قامت كلّ منها بدور الحجّة في السلم الثاني، لتصور حقيقة العذاب.

أولى تلكم الحجج (في السلم الثاني) هي نفي تفتح أبواب السماء للكافرين المقصودين، وثانيها هي نفي دخولهم الجنة، وفي نفي الحجّتين وعطفهما تقوية للخطاب، إلّا أنّ الحجّة الثانية قد أتبع نفي خبرها بـ (حتى)، وهو رابط حجاجي يفيد انتهاء الغاية، وكأنّ هناك زمانًا ينتهي فيه حرمان الكافرين من دخول الجنة، وأنّ هناك حجّة ستفوق النفي في حجاجه، الأمر الذي يؤمّل الكافرين بالخلاص، لكنهم سيخيبون عندما يعرفون أنّ الحجّة التي ساقها الرابط (حتى) ما هي إلّا تأكيدٌ

للنّفي، فلن يدخلوا الجنّة أبدًا؛ فالخبر الذي ساقه حتى يعلن فيه انتهاء الغاية الزّمانية للحرمان لن يتحقّق أبدًا؛ إذ إنّ المقصود بقوله (حتى يلج الجمل في سم الخياط) دخول الجمل ثقب الإبرة<sup>1</sup>، وهذا مستحيل. ومع تخييب آمال الكافرين يكبر ألم العذاب في نفوسهم.

وفي الحجّتين الثالثة والرّابعة تقشعرّ الأبدان وتفزع؛ حين تعلم أنّ النّار ستكون مضطّجها، محيطة بها من كلّ مكان، فقد جمعت الواو بين أسفل المكان وأعلاه، حيث المهد الذي يُضطّج عليه من الأسفل (من جهنم مهاد)، والغطاء الذي يتلحّفونه من الأعلى (ومن فوقهم غواش)<sup>2</sup>، وكلاهما، أسفل المكان وأعلاه، من النّار.

ثمّ تأتي آخر درجات السّلم بالحجّة الأخيرة تقرّ أنّ ذلك ما هو إلّا جزاء الظّالمين/ الكافرين.

وبذلكم تكون درجات السّلم قد تألفت جميعها من أجل الإقرار بنهاية الكافرين الحتميّة، بالعذاب الشّديد في نار جهنّم.

---

<sup>1</sup> ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج10، ص 187.

<sup>2</sup> ينظر: السابق. ج نفسه، ص197.

## الخاتمة

جاء اللغويان (ديكرو) (وأنسكومبر) بنظريّة في التداوليّة جديدة، تُدمج التداوليّة في الدلالة للوصول إلى معاني الملفوظات، يعدّ الحجاج اللغوي أهمّ مظاهرها.

وقد اختصّت هذه الدّراسة بتحليل نماذج من آيات الرّحمة والعذاب في القرآن الكريم، متّبعةً الحجاج اللغوي في تحليلها، وقد خلصت الدّراسة إلى الآتي:

- الحجاج اللغوي مطبوع في خطاب الرّحمة والعذاب، بل في الخطاب القرآنيّ عامّة، إذ هو جزء من اللّغة لا تكون بدونه.
- في اللّغة مواطن يظهر فيها الحجاج اللغوي، منها، ما اختارته الدّراسة، وهي: الروابط والعوامل الحجاجيّة، والسّلام الحجاجيّة، والاستعارة الحجاجيّة.
- وُظّفت الروابط الحجاجيّة في البنية اللّغويّة لخطابي الرّحمة والعذاب؛ لتجمع وتربط بين الحجج والأقوال فتزيد من قوتها الإنجازيّة الحجاجيّة وتوجّهها وجهتها الصّحيحة نحو تحقيق غاياتها، فوجدت الروابط المتساوقة، والروابط المتعاندة، التي أجلت القوة الإنجازيّة للبنية الحجاجيّة المتضمّنة في لغتي الرّحمة والعذاب، كما لوحظ توظيف العوامل الحجاجيّة التي أدت دوراً مميّزاً في القضاء على تعدّد إمكانيات التّأويل، وحصرها على الغاية الخطابيّة التي ترمي إليها البنية الحجاجيّة للرّحمة والعذاب، وتدحض كلّ ما يخالف وجهتها. وكانت الغاية التي يسعى الخطاب القرآنيّ إلى تحقيقها، بتوظيفه الروابط والعوامل الحجاجيّة، هي التأثير في المخاطبين للتّسليم برسالة القرآن، وترغيبهم برحمة الله، وترهيبهم من عذابه.
- وُجدت السّلام الحجاجيّة في خطابي الرّحمة والعذاب، وقد تسلسلت السّلام تصاعديّاً، بدءاً بالحجّة الأضعف، وانتهاءً بالحجّة الأقوى حيث قمة السّلم، وذلك في طريقها لإغراء النّاس بالصّالحات فوزاً برحمة الله وجنته، أو تحذيرهم من السيّئات لترهيبهم من العذاب والشّقاء بالنّار.



- أثر القرآن الكريم، في لغتي الرّحمة والعذاب، توظيف الاستعارة الحجاجيّة على الاستعمال العاديّ للغة؛ لأنّ الاستعارة هي الأكثر تأثيراً والأعلى حجاجياً، فيحقّق من خلالها هدفه في التّغيب بالرّحمة، والتّنفير من العذاب.

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأسدي، مسلم مالك، والغزالي، مروة خضير، *الحجاج اللغوي في السور القصار (السلام الحجاجية مثالا)*، مجلة الباحث، ع 33، 2019.

أمغار، إبراهيم، *سلمية الأسوار بين التصورين المنطقي والتداولي*، مجلة مدارات، ع 1، 2018.

بروطون، فيليب، *الحجاج في التواصل*، تر: محمد مشبال، وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، د ت.

بلخيري، عبد المالك، *التداولية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية*، مجلة تاريخ العلوم، ع 8، ج1، 2017.

البوعمراني، محمد، *الفضاء وبنى اللغة والخطاب*، مجلة سياقات، ع1، ج3، 2018.

بو قمر، عمر، *نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة*، مجلة العاصمة، م 9، 2017.

تومي، عيسى، *الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجاً*، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خضيرة، بسكرة، 2014-2015.

جايلي، عمر، *نظرية الحجاج عند "أوزفالد ديكر وآنسكومبر"*، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع3، 2018.

الجرجاني، عبد القاهر، *دلائل الإعجاز*، تعليق: محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004-1424.

- حمداوي، جميل، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.
- حمو الحاج، ذهبية، **التداولية واستراتيجية التواصل**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015.
- حنون، عايد جدوع، **الحجاج في كلام الإمام الحسين**، مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ط1، 2017.
- ختام، جواد، **التداولية أصولها واتجاهاتها**، كنوز المعرفة، ط1، 2016-1437.
- الدريدي، سامية، **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011.
- الراضي، رشيد، **المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2014.
- رزيق، بالقاسم، وفريحات عبد الرازق، **توظيف الروابط الحجاجية في القرآن الكريم\_ نماذج قرآنية مختارة\_ أطروحة ماجستير**، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2016-2017.
- ريبول، آن، وجاك موشلار: **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2003.
- ريبول، آن، وجاك موشلار: **القاموس الموسوعي للتداولية**، ت: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجذوب، مراجعة خالد ميلاد، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010.
- الزجاجي، أبو القاسم، **حروف المعاني**، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الامل، إربد، ط1، 1404-1984.

الزركشي، أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، نسخة منقحة: [http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%87%D8%A7%D9%86%20%D9%81%D9%8A%20%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%20\(%D9%86%D8%B3%D8%AE%D8%A9%20%D9%85%D9%86%D9%82%D8%AD%D8%A9](http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%87%D8%A7%D9%86%20%D9%81%D9%8A%20%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%20(%D9%86%D8%B3%D8%AE%D8%A9%20%D9%85%D9%86%D9%82%D8%AD%D8%A9)

الزمخشري، أبو القاسم، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل احمد عبد الموجود، و الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418-1998.

الساكر، مسعودة، الاستعارة وبعدها الحجاجي في الخطاب الإقناعي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ع14، ج2، 2018.

السامرائي، فاضل، برنامج لمسات بيانية، في الحديث عن الفرق بين (أرسل) (وابعث) في سورتَي الأعْرَافِ والشُّعْرَاءِ، الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=XhTQrT5RA2M>

السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، تع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.

السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، ج2، د ط، د ت.

الشامي، أطاف، العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفى أنموذجاً)، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ع43، ج1.

شهرزاد، بن يونس، آليات الخطاب الحجاجي وتطبيقاته في القرآن، مجلة رفوف، ع9، 2016.

الشهري، عبد الهادي: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.

الشهري، عبد الهادي: آليات الحجاج وأدواته، من كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حدود وتعريفات، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، ط2010، 1.

صادق، كاظم مثنى، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1436-2015.

صغيور، ابتسام، دور الروابط الحجاجية وأثرها في الانسجام النصي دراسة تطبيقية في سورة الأعراف، دراسة منشورة على الرابط  
msila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/9761/%D8%AF%D  
9%88%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%

صولة، عبد الله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007.

صولة، عبد الله: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، ط1، 2011.

صولة، عبد الله: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، من كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010.

الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، تح: بشار معروف وعصام الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1442.

الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، تح: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م

- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت.
- عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.
- عبد الرحمن، طه: الحجاجية اللسانية عند ديكر و أنسكومبر، مجلة عالم الفكر، م34، 2005.
- عبد اللطيف، عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013-1434،
- عرايبي، محمد، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، أطروحة ماجستير، جامعة السانوية، وهران، 2008-2009.
- العزاوي، أبو بكر: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط1، 1426-2006.
- العزاوي، أبو بكر: الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2006.
- العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2010.
- العشراوي، عبد الجليل، آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2016.
- ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ط2، 2009.
- أبو غليون، هاني يوسف، الحجاج في النص القرآني (سورة الحواميم أنموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2018.
- غمشي، عمر، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء في القرآن أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2010-2011.

ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2، د ط، 1399-1969.

فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، د ط، 1992.

قادة، قاسم، آيات الرحمة في القرآن دراسة لسانية في البنية والمحتوى، مؤتمر الرحمة، عن الإسلام، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيات، الجزائر، 1437-2016.

القرطبي، أبو عبد الله، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)، تح: عبد الله التركي مع محمد عرقوسي وغيث الحاج حمد، مؤسسة ارسالة، بيروت، ط1، 2006-1427، ج11.

ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تع: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419-1998.

لايكوف، جورج، وجونسون مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ت: عبد المجيد جففة، دار توبقال للنشر، ط2، 2009.

لوجرن، ميشيل، الاستعارة والحجاج، ت: الطاهر وعزيز، مجلة المناظرة، ع 14، 1991.

المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم النظريات الحجاجية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، مكتبة الإسكندرية.

محفوظي، سليمة، عاملية أدوات النفي الحجاجية، مقال منشور من 10 سنوات، موقع دنيا الوطن.

المرادي، حسن بن قاسم، الجنى الداني، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار إحياء التراث العربي، ج2، د ط، د ت.

مفلاح، عبد الله، آليات الحجاج في الخطاب القرآني\_الاستفهام أنموذجاً\_.

ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، د ط، د ت.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.

الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.

ابن هشام، عبد الله الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، ج2، د ط، د ت.

الوالي، محمد، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ع2، م 40، 2011.

ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ج8، ط المنيرية، د ت.



**An-Najah National University  
Faculty of Graduate Studies**

# **Linguistic Argumentation in the verses of Mercy and Torment**

**By  
Dalia Amal Faleh Douglas**

**Supervisor  
Prof. Mohammad Rabaa‘  
Dr. Mamuon Mbarakeh**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement  
for the Degree of Master of Arabic Language and Literature,  
Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University,  
Nablus, Palestine.**

**2021**

# **Linguistic Argumentation in the verses of Mercy and Torment**

**By**

**Dalia Amal Faleh Douglas**

**Supervisor**

**Prof. Mohammad Rabaa'**

**Dr. Mamuon Mbarakeh**

## **Abstrac**

This thesis aims to study and analyze mercy and punishment in the Quranic verses according to linguistic argument theory.

The thesis consists of an introduction, a preface, 3 sections, and a conclusion.

The introduction talks about the development of linguistic studies and the previous linguistic Argumentation theories and their relation to this thesis. The preface explains integrated pragmatics and shows its relation to linguistic Argumentation. The section discusses the Quranic Argumentation discourse especially those related to mercy and punishment.

The first section of this theses clarify the first elements of linguistic argumentation which are concerned with the argumentative factors and the relations.

Also, the second chapter come up with to analyze another example on another element in the linguistic reasoning, which is the argumentative sequences. Thus it nominated some perspectives of mercy and torment, and analyzed it depending on what the argumentative sequences suggest.

And for the third chapter, it speaks about the argumentative scrounging of verses about mercy and torment, pointing out to its ability in arguments guidance of the verses. Afterwards, the paper finalized with a set of analytical samples that give a full explanation of the elements in the linguistic reasoning that was mentioned in the previous chapters.

Finally, the conclusion addressed the pointing out results of the study.